القسم الثاني
شاعرات العرب الإسلاميات

ليلى الأخيلية
توفيت سنة ثمانين للهجرة

كانت جميلة فصيحة شاعرة مقدمة بين شعراء وشاعرات العصر الإسلامي الأموي، حافظة لأنساب العرب وأيامها وأشعارها، وقد اشتهرت بحب توبة بن الحُمَير الخفاجي.

وكان توبة شجاعًا مبرزًا في قومه، سخيًّا فصيحًا مشهورًا بمكارم الأخلاق، وله فيها قصائد غرر ومنها القصيدة التي يقول فيها:

ولو أن ليلى الأخيلية سلَّمتْ ... عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلَّمْتُ تسليمَ البشاشة أو زقا ... إليها صدًى من جانب القبرِ صائحُ

وقد قُتل في إحدى الغارات، فحزنت عليه حزنًا شديدًا، وخلعت الزينة حتى ماتت. ولكن بعده بزمن طويل، وقالت فيه المراثي الكثيرة، وهي أجمل شعرها وأكثره.

ونورد هنا شعرها في توبة في مطاوي حوادث جرت لها في مقابلاتها لملوك وأمراء بني أمية ثم نذكر شعرها المتفرق في معان مختلفة وغايات خاصة.

قالت تعيرُ قابضًا (وهو أحد رفاقه وقد هرب عنه عند الوقعة التي قتل فيها):

جزى الله شرًّا قابضًا بصنيعه ... وكلُّ امرئٍ يجزى بما كان ساعيًا

دعا قابضًا والمرهفاتُ يُرِدْنَهُ ... فقُبِّحْتَ مدعوًّا ولبيك داعيا

وقالت تعيره أيضا:

ولَّـــا أن رأيـــت الخيـــل قـــبلا ... تبـــاري بالخـــدود شـــبا العـــوالي
صرمـــت حبالـــه وصـــددت عنـــه ... بعظـــم الـــساقِ ركـــضًا غـــير آلِ
عـــلى ربـــذِ القـــوائمِ أعـــوجيٍّ ... شـــديد الأسرِ مـــنكمش التـــوالي

وقالت تعير قابضًا وتعذر عبد الله أخا توبة:

دعـــا قابـــضًا والمـــوت يخفـــق ظلـــهُ ... ومـــا قـــابضٌ إذ لم يُجـــبْ بنجيـــب
وآســـى عبيـــد الله ثـــم ابـــن أُمـــه ... ولـــو شـــاء نجـــى يـــوم ذاك حبيـــي

وقالت ترثيه:

كـــم هـــاتفٍ يـــك مـــن بـــاكٍ وباكيـــةٍ ... يـــا تـــوب للـــضيفِ إذ تُـــدعى وللجـــارِ
وتـــوبُ للخـــصم إن جـــاروا وإن عـــدلوا ... وبـــدلوا الأمـــر نقـــضًا بعـــد إمـــرارِ
إن يُـــصدروا الأمـــر تُطْلقـــهُ مـــوارده ... أو يُـــوردوا الأمـــر تحْلُلْـــهُ بإصـــدارِ

وقالت فيه:

فتـــىً لم يـــزل يـــزدادُ خـــيرًا لـــدن مـــشى ... إلى أن عـــلاهُ الـــشيبُ فـــوق المـــسايحِ
تـــراه إذا مـــا المـــوتُ حـــل بـــورده ... ضروبًـــا عـــلى أقرانـــه بالـــصفائحِ
شـــجاعٌ لـــدى الهيجـــاءِ ثبـــتٌ مُـــشايحٌ ... أذا انحـــاز عـــن أقرانـــه كـــلُّ ســـابحِ
فعـــاش حميـــدًا لا ذمـــيمًا فعالـــه ... وصـــولًا لقربـــاه يُـــرى غـــير كـــالحِ

وقالت فيه:

لـــنعم الفتـــى يـــا تـــوبَ كنـــت ولم تكـــنْ ... لتـــسبُق يومًـــا كنـــت منـــه نُوائـــلُ
ونعـــم الفتـــى يـــا تـــوب كنـــت إذا التقـــى ... صـــدور العـــوالي واستـــشال الأســـافلُ

ونعم الفتى يا توبَ كنت لخائفٍ ... أتاك لكي يُحمى ونعم المنازلُ
ونعم الفتى يا توبَ جارًا وصاحبًا ... ونعم الفتى يا توب حين تُفاضلُ
أبى لك ذمَّ الناس يا توب إنما ... لقيت حمام الموت والموتُ عاجلُ
ولا يُبعدنك الله يا توب إنما ... كذاك المنايا عاجلاتٌ وآجلُ
ولا يُبعدنك الله يا توبَ والتقتْ ... عليك الغوادي المدجناتُ الهواطلُ

وقالت لما قتل توبة:

نظرتُ وركنٌ من عمايةَ دوننا ... وبطنُ الركايا أي نظرةِ ناظرِ
لآنس إن لم يقصر الطرف منهمُ ... فلم تقصر الأخبارُ والطرف قُاصري
فوارس أجلى شأوها عن عقيرةٍ ... لعاقرها فيها عقيرةُ عاقرِ
فآنستُ خيلا بالرُقيِّ مغيرةً ... سوابقها مثل القطا المتواترِ
قتيل بني عوف ويثبرُ دونه ... قتيلٌ بني عوف قتيلٌ لعامرِ
تبادره أسيافهم فكأنما ... تُصادون عن حامي الحديدة باترِ
من الهندوانيات في كل قطعةٍ ... دمٌ زلَّ عن إثرٍ من السيف ظاهرِ
أتته المنايا بين درع حصينة ... وأسمر خطيّ وجرداء ضامرِ
على كل جرداء السراةِ وسابحٍ ... لهنَّ بشُبَّاك الحديد زوافرِ
عوابسُ تغدو العلبيةُ ضُمَّرًا ... وهن شواحٍ بالشكيم الشواجر
فلا يُبعدنك الله توبة إنما ... لقاك المنايا دارعًا مثل حاسرِ
فإن تكن القتلى بواءً فإنكم ... ستلقون يومًا ورده غير صادرِ
وان تكن القتلى بواءً فإنكم ... فتى ما قتلتم آل عوف بن عامرِ
فتى لا تخطاه الرقاقُ ولا يرى ... لقدرٍ عيالًا دون جارٍ مجاورِ
ولا تأخذ الكُومُ الجِلادُ رماحها ... لتوبة عن ضيف سرى في الصنابرِ

إذا مـــا رأتـــه قـــائمًا بـــسلاحه ... اتقتـــه الخفـــافُ بالثقـــالِ البهـــازر

إذا لم يجـــد منهـــا برســـلٍ فقـــصرُه ... ذرى المرهفـــات والقـــلاص النـــواجرِ

قـــرى ســـيفه مهـــا مُـــشاشًا وضـــيفه ... ســـنام البهـــاريس الـــسباط المـــشافر

وتوبـــةُ أحيـــي مـــن فتـــاةٍ حيـــةٍ ... وأجـــرأُ مـــن ليـــثٍ بخفَّـــان خـــادرِ

ونعـــم فتـــى الـــدنيا لـــئن كـــان فـــاجرًا ... وفـــوق الفتـــى إن كـــان لـــيس بفـــاجر

فتـــى ينهـــلُ الحاجـــاتِ ثـــم يعلُّهـــا ... فتطلعـــه عنهـــا ثنايـــا المـــصادر

كـــأن فتـــى الفتيـــان توبـــة لم يُـــنخْ ... قلائـــص يَفْحَـــصنَ الحـــصابا لكراكـــر

ولم يُـــثنِ أبـــرادًا عتاقًـــا لفتيـــةٍ ... كـــرامٍ ويرحـــل قبـــل فيء الهـــواجر

ولم ينجـــل الـــضيفانُ عنـــه وبطنـــه ... لطيـــفٌ كطـــي الـــسَّبِّ لـــيس بحـــاذر

فتـــى كـــان للمـــولى ســـناءً ورفعـــةً ... وللطـــارق الـــساري قـــرى جـــد حـــاضر

ولم يُـــدع يومًـــا للحفـــاظِ وللنـــدى ... وللحـــرب ترمـــي نارُهـــا بالـــشرائرِ

وللبـــازل الكومـــاء برغـــو خُوارهـــا ... وللخيـــل تعـــدو بـــالكماة المـــشاعرِ

كـــأن لـــبكن يقطـــع فـــلاةً ولم يـــنُخْ ... قلاصًـــا لـــذي بـــأوٍ مـــن الأرض غـــابرِ

طـــوت نفعهـــا عنـــا كـــلابٌ وأثـــرتْ ... بنـــا أجهلوهـــا بـــين غـــاوٍ وشـــاعر

وقـــد كـــان حقًّـــا أن تقـــول سراتهـــم ... بنـــا لأخينـــا عائـــشًا غـــير عـــائرِ

ودويـــةٍ قفـــرٍ يحـــارُ بهـــا القطـــا ... تخطيتهـــا بالناعجـــات الـــضَّوامر

فتـــالله تبنـــي بيتهـــا أم عاصـــمٍ ... عـــلى مثلـــه أخـــرى الليـــالي الغـــوابر

فلـــيس شـــهابُ الحـــرب توبـــةُ بعـــدها ... بغـــازٍ ولا غـــادٍ بركـــبٍ مـــسافرِ

وقـــد كـــان مرهـــوب الـــسنان وبـــيّن اللـــ ... ـــسان ومـــدلاج الـــسُّرى غـــير فـــاتر

دعـــاه إلى مكروهـــة فأجابـــه ... عـــلى الهـــول منهـــا والحتـــوف الحـــواضر

وكـــان إذا مـــولاه خـــلاف ظُلامـــة ... أتـــاه ولم يعـــدل ســـواهُ بنـــاصرِ

فتى لا تراه النابُ إلّا لسقيها ... إذا اختلجت بالناس إحدى الكبائرِ
فإن يك عبد الله آسى ابن أُمه ... وآب بأسلاب الكميِّ المغاورِ
وإن تكُ قد فارقته لك غادرًا ... وأنى لحيٍ غدرُ من في المقابرِ
فأقسمتُ أبكي بعد تويةَ هالكًا ... واحفلُ من نالتْ صروفُ المقادرِ
على مثل همامٍ وكابنِ مُطرفٍ ... لتبكي البواكي أو كبشرِ بن عامرِ
غلامان كانا استوردا كل سورةٍ ... من المجد ثم استوثقا في المصادرِ
ربيعي حيا كانا يفيضُ نداهما ... على كل مغمورٍ نداهُ وغامرِ
كأن سنا ناريهما كل شتوةٍ ... سنا البرقِ يبدو للعيونِ النواظرِ

وقالت:

لتبك العذارى من خفاجة كلها ... إلى الحَوْل صيفًا دائباتٍ ومربعا
على ناشئٍ نال المكارم كلها ... وما أنفك حتى استفرغ المجد أجمعا

وقالت ترثيه:

يا عينُ بكي بدمعٍ دائمِ السَّجَمِ ... وابكي لتوبة عند الرَّوعْ والسبُهَم
على فتىً من بني سعدٍ فُجعتُ به ... ماذا أجنَّ به في الحفرةِ الرُّجُمِ
من كل صافيةٍ صرفٍ وقافيةٍ ... مثل السنانِ وأمرٍ غير مُقتسمِ
ومصدرٍ حين يُعيي القوم مصدرهم ... وجفنةٍ عند نحسِ الكوكب الشئمِ

وقالت ترثيه:

وآليتُ أرثي بعد تويةَ هالكًا ... وأحفلُ من دارت عليه الدوائرُ
لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا لم تُصبه في الحياةِ المعايرُ
وما أحدٌ حيٌّ وإن عاش سالمًا ... بأخلد ممن غيبته المقابرُ

ومن كان مما يُحدثُ الدهر جازعًا ... فلا بد يومًا أن يُرى وهو صابرُ
وليس لذي عيش عن الموت مذهبٌ ... وليس على الأيام والدهر غابرُ
ولا الحي مما يُحدثُ الدهرُ معتبٌ ... ولا الموتُ إن لم يصبر الحي ناشرُ
وكل شبابٍ أو جديد إلى بلىً ... وكل امرئٍ يومًا إلى الله صائرُ
وكل قريني ألفةٍ لتفرقٍ ... شتاتًا وإن ضنًّا وطال التعاشرُ
فلا يبعدنك الله يا توب هالكًا ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائر
فآليتُ لا أنفكُّ أبكيك ما دعت ... على فننٍ ورقاءُ أو طار طائرُ
قتيلُ بني عوفٍ فيا لهفتا لهُ ... وما كنتُ إياهم عليه أُحاذرُ
ولكنما أخشى عليه قبيلةً ... لها بدروب الروم بادٍ وحاضرُ

وقالت ترثيه:

أيا عينُ بكيّ قوية ابن الحُمير ... بسحٍّ كفيض الجدول المتفجرِ
لتبكِ عليه من خفاجة نسوةٌ ... بماءِ شئون العبرة المتحدرِ
سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه ... ولا يبعث الأحزان مثل التذكرِ
كأن فتى الفتيان تويةَ لم يَسِرْ ... بنجد ولم يطلع من المتغورِ
ولم يُرد الماءَ الندامَ إذا بدا ... سنا الصُبح في بادي الحواشي المنورِ
ولم يغلب الخصم الألدّ ويملأ ... الجفان سديفًا يوم نكباءَ صرصرِ
ولم يعلُ بالجردِ الجياد يقودها ... بسرة بين الأشمسات فأيصرِ
وصحراءِ موماةٍ يحارُ بها القطا ... قطعت على هول الجنان بمنسرِ
يقودون قُبًا كالسراحين لاحها ... سُراهم وسير الراكب المتهجرِ
فلما بدت أرض العدو سقيتها ... مُجاج بقيات المزاد المغيرِ

ولما أهابوا بالنهاب حويتها ... بخاظي البضيع كرُّه غير أعسرِ
مُحزٌّ ككزر الأندريِّ مثابرٍ ... إذا ماونين مُلْهب الشد مُحضرِ
فألوت بأعناقٍ طوالٍ وراعها ... صلاصلُ بيضٍ سابغٍ وسنوَّرِ
ألم تر أن العبد يقتلُ ربهُ ... فيظهرُ جدُّ العبد من غير مظهرِ
قتلتم فتًى لا يُسقط الروع رُمحه ... إذا الخيل جالت في قِنًا متكسر
فيا توب للهيجا ويا توب للندى ... ويا توب للمُستنبحِ المتنوِّرِ
ألا رُبَّ مكروبٍ أجبتُ ونائلٍ ... بنلتُ ومعروفٍ لنديك ومُنكَرِ

وقالت ترثيه:

أريقت جفان الخليع فأصبحت ... حياض الندى زلت بهن المراتب
فعفاؤها لهفي بطفون حوله ... كما انقض عرش البرء والورد عاصب

وقالت تعتب على ابن عمه:

فلا وأبيك يا ابن أبي عُقيلٍ ... تبلك بعدها فينا بلالِ
فلو آسيته لخلاك ذمٌّ ... وفارقك ابن عمك غير قالِ

بينا معاوية يسير إذ رأى راكبًا، فقال لبعض شرطه ائتني به وأياك أن تروعه فأتاه، فقال أجب أمير المؤمنين، فقال: أياه أردت، فلما دنا الراكب حدر لثامه فإذا ليلى الأخيلية فأنشأت تقول:

معاوي لم أكد آتيك تهوي ... برحلي نحو ساحتك الركابُ
تجوبُ الأرض نحوك ما تأنَّى ... إذا ما الأُكْمُ قنَّعها السَّرابُ
وكنت المرتجي وبك استعاذت ... لتُنعشها إذا بخل السَّحابُ

فقال ما حاجتك؟ قالت ليس مثلي يطلب إلى مثلك حاجة، فتخير أنت فأعطاها خمسين من الإبل.

ثم قال ويحك يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة؟ فقالت: يا أمير المؤمنين ليس كل الناس يقول حقًا، الناس شجرة بغي، يحسدون النعم حيث كانت، وعلى من كانت، كان توبة سبط البنان، حديد اللسان، شجي للأقران، كريم المخبر، عفيف المئزر، جميل المنظر، كان كما قتل ولم أبعد عن الحق فيه:

بعيدُ المدى لا يبلغُ القومُ قعره ... ألدُّ مُلِدٌّ يغلبُ الحقَ باطله

إذا خلَّ ركبٌ في ذراه وظلِّهِ ... ليمنعهم مما تُخافُ نوازِلُه

حماهم بنصل السيف من كل قادحٍ ... يخافونه حتى تموت خصائله

فقال معاوية: ويحك يا ليلى يزعم الناس أنه كان عاهرًا فاجرًا، فقالت من ساعتها مرتجلة:

معاذ آلهي كان والله سيدًا ... جوادًا على العلات جمًّا نوافله

أغر خفاجيًا يرى البُخْلَ سُبَّةً ... تحلَّبُ كفاه الندى وأناملُه

عفيفًا بعيد الهمِّ صُلبًا قناتُه ... جميلًا مُحيَّاه قليلًا غوائله

وقد علم الجوع الذي بات ساريًا ... على الضيف والجيران أنك قاتله

وأنك رحبُ الباع يا توب بالقرى ... إذا ما لئيم القوم ضاقت منازله

يبيت قُرير العين من كان جارهُ ... ويضحى بخيرٍ ضيفه ومُنازله

وكان إذا ما الضيف أرغى بعيرهُ ... لديه أتاه نيلُه وفواضلُهْ

فقال: ويحك يا ليلى لقد جزت بتوبة قدره، فقالت: والله لو رأيته وخبرته لعلمت أني مقصرة في نعته، لا أبلغ كنه ما هو له أهل، فقال لها: في أي سنٍ كان.

فقالت:

أتتـــه المنايـــا حـــين تـــم تمامُـــه ... وأقـــصر عنـــه كُـــلُّ قـــرنٍ يـــصاوِلُهْ
وصـــار كليـــث الغـــاب يحمـــي عرينـــه ... وتـــرضى بـــه أشـــباله وحلائلـــهْ
عطـــوفٌ حليـــمٌ حـــين يُطلـــبُ حِلْمُـــهُ ... وصُـــمٌّ ذعـــاف لا تُـــصاب مقاتلـــهْ

فأمر لها بجائزة، وقال: أي ما قلت فيه أشعر؟ **قالت**: ما قلت شيئًا ألا والذي فيه من خصال الخير أكثر، ولقد أجدت حيث أقول:

جـــزى الله خـــيرًا والجـــزاءُ بكفـــه ... فتـــىً مـــن عقيـــلٍ ســـاد غـــير مُكَلَّـــفِ
فتـــىً كانـــت الـــدنيا تهـــون بأسرهـــا ... عليـــه ولا ينفـــكُّ جـــمَّ التـــصرُّفِ
ينـــالُ عليَّـــات الأمـــور بهونـــةٍ ... إذا هـــي أعيـــت كـــل خـــرقٍ مـــشرفِ
هـــو المـــسك بـــالأري الـــضحاكي شـــبته ... بدريافـــةٍ مـــن خمـــرِ بيـــسان قرْقَـــف
فيـــا تـــوب مـــا في العـــيش خـــيرٌ ولا نـــدًى ... يُعـــدُّ وقـــد أمـــسيت في تُـــرب نفنـــفِ
وما نلتُ منك النَّصف حتى ارتمـت بـك ... المنايـــا بـــسهمٍ صـــائب الوقـــع أعجـــفِ
فيـــا ألـــف ألـــفٍ كنـــت حيًّـــا مـــسلمًا ... لا لقـــاك مثـــل القـــسورِ المُتطـــرفِ
كـــما كنـــت إذ كنـــت المنجـــيّ مـــن الـــردى ... إذا الخيـــل جالـــت بالقنـــا المُتقـــصفِ
وكـــم مـــن هيـــفٍ مُحجـــرٍ قـــد أجبتـــهُ ... بـــأبيض قطـــاع الـــضريبة مُرهـــفِ
فأنفذتـــه والمـــوتُ يحـــرقُ نابـــهُ ... عليـــه ولم يطعـــن ولم يتنـــسَّفِ

دخلت على مروان بن الحكم فقال: يا ليلى **بالغت** في نعت توبة، قالت أصلح الله الأمير والله ما قلت إلا حقًا.

فقال مروان: كيف يكون توبة على ما تقولين، وكان حاربًا (والحارب سارق الإبل خاصة)؟ فقالت:

والله ما كان حاربًا، ولا للموت هائبًا، ولكنه كان فتى له جاهلية، ولو طال عمره وانسأه الموت لارعوى قلبه، ولقضى في حب الله نحبه، واقصر عن لهوه.

ثم دخلت ليلى على عاتكة بنت يزيد زوجة عبد الملك بن مروان، وجاء عبد الملك فحاورها وحاورتها عاتكة بما أغضبها فخرجت وهي تقول:

ستحملُني ورحلي ذات رحلٍ ... عليها بنت آباءٍ كرامِ
إذا جعلت سوادَ الشام دوني ... وأُغلق دونها بابُ اللثامِ
فليس بعائدٍ ابدًا إليهم ... ذوو الحاجات في غلس الظلامِ
أعاتكُ لو رأيت غداة بنا ... عزاءَ النفس عنكم واعتزامي
إذًا لعلمت واستيقنت أني ... مُشيعةٌ ولم ترعي ذمامي
ألجعلُ مثل تويةَ في نداه ... أبا الذُّبّان فوه الدهر دامي
معاذ الله ما عسفتْ برحلي ... تُغذُّ السير للبلد التهامي
أقلت خليفةٌ فسواهُ أحجى ... بإمرته وأولى بالشآم
لئامُ الملك حين تُعدُّ بكْرٌ ... ذوو الأخطار والخططِ الجسامِ

قدمت ليلى على الحجاج بن يوسف وعنده وجوه أصحابه وأشرافهم فلما دنت سلمت. فقال لها الحجاج: ما أتى بك يا ليلى؟ قالتْ أخلاف النجوم، وقلة الغيوم وكلَبُ البرد، وشدة الجهد، وكنت لنا بعد الله الرفد.

ثم قالت: أتأذن أيها الأمير؟؟

قال: نعم، فأنشدته:

أحجَّاجُ إن الله أعطاك غايةً ... يقصر عنها من أراد مداها

أحجـاجُ لا يُفلـل سـلاحك إنـما ... المنايـا بكـف الله حيـث تراهـا

إذا ورد الحجـاجُ أرضًـا مريـضةً ... تتَّبـع أقـصى دائهـا فـشفاها

شـفاها مـن الـداء العـضال الـذي بهـا ... غـلامٌ أذا هـز القنـاة سـقاها

سـقاها دمـاء المـارقين وعلَّهـا ... إذا جمحـت يومًـا وخيـف أذاهـا

إذا سـمع الحجـاجُ صـوت كتيبـةٍ ... أعـدَّ لهـا قبـل النـزول قراهـا

أعـدّ لهـا مـصقولةً فارسـيةً ... بأيـدي رجـال يحـسنون غـذاها

أحجـاج لا تُعـطِ العُـصاة منـاهم ... ولا اللهُ يُعطـي للعـصاة مناهـا

ولا كـل خـلافٍ تقلَّـد بيعـة ... فـأعظم عهـد الله ثـم شراهـا

ولما قالت (غلام إذا هز القناة) قال لها الحجاج لا تقولي غلام ولكن قولي: همام.

وقال لها أنشدينا بعض ما قاله قيك توبة، فأنشدته حتى إذا سمع هذا البيت:

وكنـت إذا مـا جئـت لـيلى تبرقعـت ... فقـد رابنـي منهـا الغـداة سـفورها

قال يا ليلى ما رابه من سفورك؟ فقالت: ما رآني قط إلا متبرقعة، فأرسل إليَّ رسولًا أنه ملمٌّ بي، فنظر أهل الحي رسوله فأعدوا له وكمنوا، ففطنت لذلك من أمرهم، فلما جاء ألقيتُ برقعي وسفرت، فانكر ذلك... فما زاد على التسليم وانصرف راجعًا.

فقال لها: لله درك، فهل كانت بينكما ريبة قط؟

فقالت: لا والذي أسأله صلاحك، إلا أني رأيت أنه قال قولًا فظننت أنه خضع لبعض الأمر، فقلت:

وذي حاجـة قلنـا لـه لا تـبح بهـا ... فلـيس إليهـا مـا حييـت سـبيلُ

لنـا صـاحب لا ينبغـي أن نخونـه ... وأنـت لأخـرى صـاحب وخليـلُ

تخالـــك تهـــوى غيرهـــا فكـــأنما ... لهـــا مـــن تظنيهـــا عليـــك دليـــلُ

فما كلمني بعدها بشيء من ذلك حتى فرق بيني وبينه الموت.

فقال لها الحجاج: ما حاجتك؟؟ فقالت له: تحملني إلى قتيبة بن مسلم في خراسان، فأمر بحملها فقالت له:

حجَّـاجُ أنـت الـذي لا فوقـه أحـدٌ ... إلا الخليفـــةُ والمـــستغفرُ الـــصمدُ

حجاج أنـت شـهابُ الحـرب إن نفخـتْ ... وأنـت للنـاس نـورٌ في الـدُّجى يَقِـدُ

ومما ينسب لليلى

نحـــن الـــذين صـــبَّحوا الـــصباحا ... يـــوم النخيـــل غـــارةً ملحاحـــا

نحـــن قتلنـــا الملـــك الجحجاحـــا ... دهـــرًا فهيجنـــا بـــه أنواحـــا

ولم نـــــدعْ لـــــسارحٍ مراحـــــا ... إلا ديـــــارًا أو دمًـــــا مباحـــــا

نحـــنُ بنـــو خُويلـــدٍ صُراحـــا ... لا كـــذب اليـــوم ولا مزاحـــا

وقالت:

نحـــن الأخايـــلُ لا يـــزال غلامُنـــا ... حتـــى يـــدب عـــلى العـــصا مـــذكورا

تبكـــي الـــسيوف إذا فقـــدن أكفَّنـــا ... جزعًـــا وتلقانـــا الرفـــاقُ بحـــورا

ولـــنحنُ أوثـــقُ في صـــدور نـــسائكمُ ... مـــنكم إذا بكـــر الـــصُّراخُ بُكـــورا

وقالت:

لَعمـرك مـا الهجـرانُ أن يـسقط النَّـوى ... ولكـــنما الهجـــرانُ مـــا غيـــب القـــبرُ

أرسل إليها توبة مرةً يقول:

عفا الله عنها هل أبيتنَّ ليلةً ... من الدهر لا يسري إليَّ خيالها

فأجابته:

وعنه عفا ربي وأحسن حالهُ ... عزيزٌ علينا حاجةٌ لا ينالها

وقالت ترثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أبعدَ عثمانَ ترجو الخيرَ أُمتهُ ... وكان آمن من يمشي على ساقِ

خليفةُ الله أعطاهم وخوَّلهُمْ ... ما كان من ذهبٍ جمٍّ وأوراق

فلا تُكذِّبْ بوعد الله وارض به ... ولا توَكَّلْ على شيء بإشفاقِ

ولا تقولنْ لشيءٍ سوف أفعله ... قد قدَّرَ الله ما كلُّ امرئٍ لاقِ

ودخلت ليلى بين النابغة الجعدي وسوار بن أوفى في مناظرة شعرية بينهما، فمالت إلى جانب سوار وقالت:

وما كنت لو فارقت جل عشيرتي ... لا ذكر قعبي حاذرٍ قد تنمَّلا

فهجاها النابغة الجعدي بقوله:

ألا حيا ليلى وقولا لها هلا ... فقد ركبتْ أيرًا أغرَّ محجلا

فقالت:

أنابغُ لم تنبغَ ولم تكُ أوَّلا ... وكنت صنيًا بين صدَّيْن مجهلا

أنابغُ إن تنبغْ بلؤمك لا تَجِدْ ... للؤمك الاوسط جعدةَ مجعلا

تُعيرُني داءً بأُمك مثلُهُ ... وأيُّ نجيبٍ لا يُقال له هلا

ويبلغها أنهم يريدون أن يستعدوا عليها فقالت:

أتاني من الأنباء أن عشيرة ... بشُوران يزجون المطيَّ مذللا

يـــروح ويغـــدو وفـــدهم بـــصحيفة ... ليـــستجلدوا لي ســـاءَ ذلـــك معْمَـــلا

وقالت في مدح آل مطرف:

يأيهـــا الـــسَّدمُ المُلَـــوِّي رأســـهُ ... ليقـــودَ مـــن أهـــل الحجـــاز بـــريما
أتريـــدُ عمـــرو بـــن الخليـــع ودونـــه ... كعـــبٌ إذًا لوجتنـــه مرءومـــا
إن الخليـــع ورهطـــه في عـــامر ... كالقلـــب أُلـــبس جؤجـــؤًا وحـــزيما
لا تغـــزون الـــدهر آل مطـــرفٍ ... لا ظالمًـــا أبـــدًا ولا مظلومـــا
قـــومٌ ربـــاطُ الخيـــل وســـط بيـــوتهم ... وأســـنةٌ زُرق تُخـــال نجومـــا
لـــن تـــستطيع بـــأن تُحـــول عـــزهم ... حتـــى تُحـــوِّل ذا الهـــضاب يـــسوما
ومخـــرَّقٌ عنـــه القمـــيصُ تخالـــه ... وســـط البيـــوت مـــن الحيـــاء ســـقيما
حتـــى إذا رُفـــع اللـــواءُ رأيتـــهُ ... تحـــت اللـــواء عـــلى الخمـــيس زعـــيما

وقد توفيت بقومس على جانب الفرات رحمها الله.

رابعة بنت إسماعيل العدوية
الناسكة البصرية المشهورة توفيت سنة ١٨٥هـ

من شعرها قولها في الذات الآلهية:

إني جعلتـــك في الفـــؤاد محـــدثي ... وأبحـــت جـــسمي مـــن أراد جلـــوسي
فالجـــسم منـــي للجلـــيس مـــؤانسٌ ... وحبيـــب قلبـــي في الفـــؤاد أنيـــسي

* * *

حبيب ليس بعدله حبيب ... وما لسواه في قلبي نصيبُ
حبيب غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤادي ما يغيبُ

* * *

وزادي قليل ما أراه مبلغي ... أللزاد أبكي أم لطول مسافتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى؟ ... فأين رجائي فيك أين مخافتي

خطبها الحسن البصري فردته وقالت:

راحتي يا إخوتي في خلوتي ... وحبيبي دائمًا في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضًا ... وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه ... فهو محرابي إليه قبلتي
إن أمت وجدا وما ثم رضى ... وأعنائي في الورى واشقوتي
يا طبيب القلب يا كل المنى ... جد بوصل منك يشفي مهجتي
يا سروري يا حياتي دائمًا ... نشأتي منك وأيضا نشوتي
قد هجرت الخلق جمعًا أرتجي ... منك وصلًا فهو أقصى منيتي

وقالت:

أحبك حبين حب الهوى ... وحبًا لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك لي الحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

العيوق بنت مسعود
ابنة أخي ذي الرمة

خليليَّ قوما فارفعا الطرف وانظرا ... لصاحبِ شوقٍ منظرًا متراخيا
عسى أن نرى والله ما شاء فاعلٌ ... بأكثبة الدهنا من الحيِّ باديا
وإن حال عرضُ الرملِ والبعد دونهم ... فقد يطلبُ الإنسان ما ليس رائيا
يرى الله أن القلب أضحى ضميره ... لما قابل الروحاءَ والعرجَ قاليا

وقالت:

إذا هبت الأرواح زادت صبابة ... عليَّ وبرحًا في فؤادي هبوبها
ألا ليت أن الريح ما حل أهلُنا ... بصحراءِ نجد لا تهب جنوبها
وآلت يمينًا لا تُهبُّ شمالها ... ولا نكبّا إلا صبًا نستطيبها

زوجة أبي الأسود الدؤلي

لاحاها زوجها عند معاوية في أمر ولدها (وكانت مطلقة) وقال لها شعرًا فأجابته:

ليس من قال بالصواب وبالحقِّ ... كمن جار عن منار السبيلِ
كان ثديي سقاءَه حين يُضحي ... ثم حِجري فناؤه بالأصيلِ
لست أبغي بواحدي يا ابن حربٍ ... بدلًا ما علمته والجليل

فقضى لها معاوية بالولد.

نائلة بنت الفرافصة

خطبها عثمان بن عفان رضي الله عنه فزوجوه وحملت إليه، فلما كانت في الطريق تذكرت أهلها وحزنت لفراقهم، فقالت:

ألست ترى يا ضبُّ بالله أنني ... مُصاحبةٌ نحو المدينة أركُبا
إذا قطعوا حزنًا نُحُثُّ ركابهم ... كما زعزعت ريحٌ يراعا مُثقبا
لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم ... لك الويلُ ما يغني الخبأ المطنَّبا

ثم حظيت عند عثمان رضي الله عنه، وكانت له محبة وعليه حدبة، حتى إنه لما قُتل اتقت سيف ضاربه بيدها فقطع أصبعين من أصابعها وقالت ترثيه:

إلا إن خير الناس بعد ثلاثةٍ ... قتيلُ التُجيبي الذي جاء من مصر
وما لي لا أبكي وتبكي قرابتي ... وقد غُيِّبتْ عنا فضول أبي عمرو

وقد ينسبون هذين البيتين إلى الوليد بن عقبة.

هند
زوجة رجل من همدان اسمه عثمان

كان زوجها في بعث آذربيجان فرجع الجند ولم يرجع هو لأنه استفاد من جهاده ذاك ما اشترى به فرسا وجارية وسمي الفرس وردًا والجارية حبابة، وألهاه الحب عن العودة فكتب إلى امرأته يخبرها عن أمره فكتبت إليه:

لعمري لئن شطت بعثمان داره ... وأضحى غنيًا بالحبابة والوَرْدِ
ألا فاقره مني السلام وقل له ... غنينا بفتيانٍ غطارفةٍ مُرْدِ
إذا شاء منهم ناشئٌ مد كفه ... إلى كفلٍ ريان أو كعثبٍ نهدِ

بحمد أمير المؤمنين أقرهم ... شبابًا وأغزاكم خوالف في الجندِ
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم ... قريبًا فيقضوها على النأيِ والبعدِ
فارسل إلينا بالسراح فإنه ... مُنانا ولا ندعو لك الله بالرشدِ
إذا رجع الجندُ الذي أنت منهم ... فزادك رب الناس بُعدًا على بُعدِ

فباع الجارية وذهب مسرعًا فوجدها معتكفة على السجود والصلاة، فقال يا هند أفعلت ما قلت! قالت الله أجل في عيني وأعظم من أن أركب مأثمًا، ولكن كيف وجدت طعم الغيرة؟ فإنك عظتني فغظتك.

ستيرة العصيبية

قالت:

بتنا باطيب ليلة وألذها ... باليتها وُصلتْ لنا بليال
حتى إذا ما الليل أُشغل لونه ... بالصبح أو أودى على الاشغال
نادى منادٍ بالصلاة فراعنا ... ومضى جميعُ الليل غير توالِ
فنهضن من حذر العيون هواربًا ... نهض الهجان بدكدكٍ مُنهالِ
ثم اطلعن كأنهن غمائم ... زمن الربيع همن باستهلال
حتى دفعن إلى فتًى جشمنه ... رد الكرى وتعسُّف الأهوال

ألم خيال طيبة أجنبيا ... فحيا الركب دوني والمطيا
لما حيتهم يا طيف دوني ... وأنت أحبهم شخصًا اليّا

ألم بنـــا فـــسلّم ثـــم ولى ... عـــلى الهجـــاد تـــسليما خفيـــا
فلـــما أن كـــشفت غطـــاء رأسي ... إذا أنـــا لا أرى إلا النـــضيا
وأنيقنـــا الـــثلاث مُلقّيـــاتٍ ... عـــلى مـــتن الطريـــق وصـــاحبيا
وزرقّـــا بـــالجفير منـــشبات ... وشـــوحطة تـــرن ومـــشرفيا
فكلفنـــا سُراهـــا أن رحلنـــا ... وأحثثـــا الأمـــير العامريـــا

وقالت:

مـــا كـــان ذاك الهجـــرُ منـــي عـــن قـــلًى ... لا والـــذي رفـــع الـــسما وبناهـــا
إني ليثنينـــي الحيـــاءُ وانثنـــي ... وأصـــدُّ بعـــض مـــودتي اســـتبقاها
وإذا المناضـــلُ لم يكـــن متثبّتـــا ... يُبقـــى مواقـــعَ نبلـــه أفناهـــا

وقالت:

ونـــادى بالترحـــل بعـــض صـــحبي ... فرحنـــت ومقلتـــي غرقـــى بماهـــا
فراحـــوا والـــشقيُّ لـــه ديـــونٌ ... وأشـــيا مـــن حـــوائج مـــا قـــضاها
فأرخيـــت العمامـــة دون صـــحبي ... عـــلى عينـــي وقلـــتُ جـــرى قـــذاها
ومـــا لي حاجـــة إلا ببكـــرٍ ... ومـــا ذنبـــي عـــلى أحـــد ســـواها
فقـــالوا مـــن ضراري كيـــف بكـــز ... وكيـــف تـــراك ترجـــو أن تراهـــا
فقلـــت الله حَـــمَّ فـــراقَ بكـــرٍ ... فـــأرجو أن يحـــمَّ لنـــا لقاهـــا

ميسون بنت بحدل
أم يزيد بن معاوية

قالت تتشوق إلى البادية:

لبيـــتٌ تخفـــق الأرواح فيـــه ... أحـــبُّ إلي مـــن قـــصرٍ منيـــفِ

وبكـــرٌ يتبـــعُ الأظعـــانَ ســـقبًا ... أحـــبُّ إلي مـــن بغـــلٍ زفـــوفِ
وكلـــبٌ ينـــبحُ الطُّـــرَّاقَ عنـــي ... أحـــبُّ إلي مـــن قـــطٍ أليـــفِ
ولـــبسُ عبـــاءةٍ وتقـــرَّ عينـــي ... أحـــبُّ إليَّ مـــن لُـــبس الشُّفوفِ
وأكـــلُ كُـــسيرةٍ في كـــسرِ بيتـــي ... أحـــبُّ إليَّ مـــن أكـــلِ الرَّغيـــفِ
وأصـــواتُ الريـــاح بكـــل فـــجٍّ ... أحـــبُّ إليَّ مـــن نقـــر الـــدفوفِ
وخـــرقٌ مـــن بنـــي عمـــي ضـــعيفٌ ... أحـــبُّ إليَّ مـــن علـــجٍ عنيـــفِ
خشونةُعيـــشتي في البـــدو أشـــهى ... إلى نفـــسي مـــن العـــيش الطريـــفِ
فـــما أبغـــي ســـوى وطنـــي بـــديلًا ... ومـــا أبهـــاهُ مـــن وطـــنٍ شريـــفِ

ليلى العامرية
صاحبة قيس بن الملوح المجنون

لم يكـــن المجنـــونُ في حالـــةٍ إلا ... وقـــد كنـــتُ كـــما كانـــا
لكنـــه بـــاح بـــسرِّ الهـــوى ... وإنتـــي قـــد ذبـــتُ كتمانـــا

ولها فيه:

بـــاحَ مجنـــونُ عـــامرٍ بهـــواه ... وكتمـــتُ الهـــوى فمـــتُّ بوجـــدي.
فـــإذا كـــان في القيامـــة نـــودي ... مـــن قتيـــلُ الهـــوى تقـــدمتُ وحـــدي

ولها في جواب شعر له:

نفـــسي فـــداؤك نفـــسي ملكـــتُ إذنْ ... مـــا كـــان غـــيرك يجزيهـــا ويرضـــيها
صـــبرًا عـــلى مـــا قـــضاه الله فيـــك عـــلى ... مـــرارةٍ في اصـــطباري عنـــك أخفيهـــا

ولها أيضا:

ألا ليت شعري والخطوبُ كثيرةٌ ... متى رحلُ قيس مُستقلٌ فراجعُ
ينفسي من لا يستقلُّ برحله ... ومن هو إن لم يحفظ الله ضائعُ
أُخبرتُ أنك من أجلي جُنِنْت وقد ... فارقت أهلك لم تعقل ولم تُفِق
كلانا مظهرٌ للناس بُغضًا ... وكلٌّ عند صاحبه مكينُ
تُبلغنا العيون بما أردنا ... وفي القلبين ثم هوًى دفينُ
وأسرارُ اللواحظِ ليس تخفى ... وقد تغري بذي الخطاء الظنونُ
وكيف يفوتُ هذا الناس شيءٌ ... وما في الناس تظهره العيونُ

ليلى بنت طريف الشيبانية

قالت ترثي أخاها الوليد بن طريف الشيباني من رءوس الخوارج، وكان خرج أيام الرشيد فقتله يزيد بن يزيد سنة ١٧٩ هـ

بتلٍّ نُباتي رسمُ قبرٍ كأنهُ ... على جبلٍ فوق الجبال منيفِ
تضمن جودًا حاتميا ونائلًا ... وسورةَ مقدامٍ ورأي حصيفِ
ألا قاتل الله الجثا كيف أضمرت ... فتًى كان للمعروف غير عيوفِ
فإلا تُجبني دمنةٌ هي دونه ... فقد طال تسليمي وطال وقوفي
وقد علمتْ أن لا ضعيفًا تضمنت ... إذا عظمُ المرزي ولا ابن ضعيفِ
فتى لا يلومُ السيف حين يهزُّه ... على ما اختلى من معصمٍ وصليفِ
فتى لا يعدُّ الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنًا وسيوفِ
ولا الخيل إلا كل جرداءَ شطبةٍ ... وكل حصانٍ باليدين غروفِ
فقدناك فقدان الربيع وليتنا ... فديناك من ساداتنا بألوفِ
وما زال حتى أزهق الموت نفسه ... شجًا لعدو أو لجًا لضعيف

حليف الندى إن عاش يرضى به الندى ... وإن مات لا يرضى الندى بحليفِ
فإن يك أرداه يزيد بن يزيد ... فيا رُبَّ خيلٍ فضها وصفوفِ
فيا شجر الخابور مالك مورقًا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف
ألا يا لقومي للنوائب والردى ... ودهرٍ مُلحّ بالكرام عنيف
وللبدرِ من بين الكواكب اذهوى ... وللشمس همت بعده بكسوف
وللبيت فوق النعش إذ يحملونه ... إلى حُفرةٍ ملحودةٍ وسقوفِ
بكتْ تغلبُ الغلباءُ يوم وفاته ... وأبرز منها كل ذات نصيفِ
يَقُلْن وقد أبرزنَ بعدك للورى ... معاتد حلى من بُرّى وشنوفِ
كأنك لم تشهد مصاعًا ولم تقُمْ ... مقامًا على الأعداء غير خفيفِ
ولم تشتمل يوم الوغى بكتيبةٍ ... ولم تبدُ في خضراء ذات رفيفِ
دلاصٍ ترى فيها كدوحًا من القنا ... ومن ذُلُقٍ يعجمنها بحروفِ
وطعنة خلسٍ قد طعنت مُرشةٍ ... على يزنيٍّ كالشهاب رعوفِ
ومائدة محمودة قد علوتها ... بأوصال بُختيٍّ أحذَّ عليفِ

وقالت ترثيه أيضًا:

ذكرتُ الوليدَ وأيامهُ ... إذا الأرض من شخصه بلقعُ
فأقبلتُ اطلبهُ في السماء ... كما يبتغي أنفه الأجدعُ
أضاعك قومُك فليطلبوا ... إفادة مثل الذي ضيعوا
لو أن السيوف التي حدُّها ... أصابك تعلم ما تصنع
نبتُ عنك أو جعلت هيبةً ... وخوفًا لصولكَ لا تقطعُ

لطيفة الحدانية

تزوجها ابن عمها فولعت به ولعًا شديدًا ثم مرض ومات فاستولى عليها الحزن ورؤيت على قبره وكأنها تمثال، وعليها من الحلي والحلل شيء كثير، وهي تبكي، فقالوا لها: يا هذه نراك حزينة وما عليك زي الحزن، فقالت:

فإن تسألاني فيم حُزني فإنني ... رهينةُ هذا القبرِ يا فتيان
وإن تسألاني عن هواي فإنه ... مقيمٌ بحوضى أيها الرجلانِ
وإني لأستحيه والتُّرب بيننا ... كما كنتُ أستحيه حين يراني
أهابُك إجلالًا وإن كنت في الثرى ... وأكرهُ حقًّا أن يسوءك مكاني

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول:

يا صاحب القبرِ يا من كان ينعمُ بي عيشًا ... ويُكثرُ في الدنيا مواساتي
قد زرتُ قبرك في حلي وفي حُللٍ ... كأنني لست من أهل المصيبات
لما علمتُك تهوى أن تراني في ... حليٍ وتهواهُ من ترجيع أصواتي
أردت آتيك فيما كنت أعرفه ... أن قد تُسرُّ به من بعض هيئآتي
فمن رآني رأى عبري مُولهةً ... عجيبة الزي تبكي بين أمواتِ

كنزة أم شملة بن برد المنقري
وهي أمة كانت لقيس بن عاصم

قالت تحرض ولدها شملة:

فإن يك ظني صادقًا وهو صادقي ... بشملةَ يحبسهم بها محبسًا أزلا
فيا شمل شمرْ واطلب القوم بالذي ... أُصبت ولا تقبل قصاصًا ولا عقلا

وقالت:

لهفي على قومي الذين تجمعوا ... بذي السيد لم يلقوا عليًّا ولا عَمرا

فإن يك ظني صادقًا وهو صادقي ... لشملة يحبسهم بها محبسًا وعرا

وكنزة هي التي دست على لسان ذي الرمة أبياتًا يهجو بها ميًّا ويذكرها بكل قبيحة، وقد برئ منها ذو الرمة كما ترى في مقدمة ديوانه، وهناك ذُكرت باسم (كثيرة) كما وجدناها في المصدر الذي نقلنا عنه.

وهذه هي الأبيات بتمامها:

ألا حبذا أهلُ الملا غير أنه ... إذا ذُكِرَتْ ميٌّ فلا حبذا هيا

على وجه ميٍّ مسحةٌ من ملاحةٍ ... وتحت الثياب الخزيُ لو كان باديا

ألم تر أن الماء يخبثُ طعمه ... وإن كان لونُ الماء أبيض صافيا

إذا ما أتاه واردٌ من ضرورةٍ ... تولى بأضعافِ الذي جاءَ ظاميا

كذلك ميٌّ في الثياب إذا بدتْ ... وأثوابها يُخفين منها المخازيا

فلو أن غيلانَ الشقيَّ بدت له ... مُجردةً يومًا لما قال ذا لبا

كقولٍ مضى منه ولكن لردَّهُ ... إلى غير ميٍّ أو لأصبح سالبا

فتاة

من بني عجل تحب ابن عَمٍّ لها، وكان قد توجه إلى حرب الأزارقة مع المهلب، فكتبت إليه تستزيره، فاعتذر إليها بخوفه من عقوبة الأمير، فردت عليه:

ليس المحبُّ الذي يخشى العقاب ولو ... كانت عقوبته في إلفه النارُ

بل المحبُّ الذي لا شيءَ يمنعه ... أو تستقرّ ومن يهوى به الدارُ

فارتحل إليها تاركًا وظيفته، ثم عاد فاعتذر إلى الأمير بما كان، فعفا عنه.

فتاة أعرابية

احتملها زوجها إلى مكان قصيّ فقالت:

ألا أيها الركبُ اليمانون عرجوا ... علينا فقد أضحى هوانا يمانيا
تُسائلكم هل سال نعمانُ بعدنا ... وحُبَّ إلينا بطنُ نعمانَ واديا
فإن به ظلًا ظليلًا ومشربًا ... به تُقنع القلبُ الذي كان صاديا

فاطمة بنت الأحجم الخزاعية
وهي من صحابة الرسول عليه السلام

وكانت من أكمل قومها أدبًا وأجراهم لسانًا، قالت تبكي قومها:

يا عينُ بكي عند كل صباحِ ... جودي باربعةٍ على الجراحِ
قد كنتَ لي جبلًا ألوذ بظله ... فتركتني أمشي بأجردَ ضاح
قد كنتُ ذات حميةٍ ما عشت لي ... أمشي البراز وكنتَ أنت جناحي
فاليوم أخضعُ للذليل وأتقي ... منه وأدفع ظالمي بالراحِ
وأغض من بصري وأعلم أنه ... قد بان حدُّ فوارسي ورماحي
وإذا دعت قُمريةٌ شجنًا لها ... يومًا على فَنَنٍ دعوتُ صباحي
أمست ركابُك يا ابن ليلى بُدنًا ... صنفين بين مخايضٍ ولقاحِ
ولقد تظلُّ الطيرُ تخطفُ جُنَّحًا ... منها لحومُ غواربٍ وصفاحِ
ومطوَّحٍ قفرٍ دعوتَ نعامه ... قبل الصباح بضمَّرٍ أطلاحِ
وخطيب قومٍ قدَّموه أمامهم ... ثقةً به متخمطٍ تياحِ

جاويـــت خطبـــة فظـــلَّ كأنـــه لمـــا نطقـــت مُمَلَّـــحٌ بمـــلاحِ

وقالت ترثي أخوتها:

(وهذا الشعر منسوب أيضًا على أم الفضل الهلالية امرأة العباس).

رعـــوا مـــن المجـــد أكنافًـــا إلى أمـــدٍ حتـــى إذا كمُلـــت أظماؤهـــم وردوا
ميـــتٌ بمـــصرٍ وميـــتٌ بـــالعراقِ وميـــ ـــتٌ بالحجـــاز منايـــا بيـــنهم بَـــدَدُ
كانـــــت لهـــــم همـــــمٌ إذا القعاديـــد عـــن أمثالهـــا قعـــدوا
بـــذلُ الجميـــل وتفـــريج الجليلـــت وإعطـــا ءُ الجزيـــل الـــذي لم يُعْطِـــهِ أحـــدُ

وقالت أيضا ترثيه:

إخـــــوتي لا تبعـــــدوا أبـــــدًا وبـــــلى والله قـــــد بعـــــدوا
لـــــو تمَلَّـــــتْهُم عـــــشيرتهم لاقتنـــــاءِ العـــــزِّ أو ولـــــدوا
هـــــان مـــــن بعـــــض الرزيـــــة أو هـــــان مـــــن بعـــــض الـــــذي أجـــــدُ
كـــــلُّ مـــــا حـــــيٍّ وإن أمـــــروا واردو الحـــــوض الـــــذي وردوا

وقالت:

كـــــأن عينـــــي لمـــــا أن ذكـــــرتهم غـــصنٌ بـــراحٍ مـــن الطرفـــاءِ ممطـــورُ

فاطمة بنت النبي عليهما السلام

وقفت على قبر أبيها عليه السلام فقالت:

قـــد كـــان بعـــدك أنبـــاءٌ وهنبثـــةٌ لـــو كنـــت شـــاهدها لم تكثـــر الخُطـــبُ
إنـــا فقـــدناك فقـــد الأرض وابلهـــا وغـــابَ مـــذ غبْـــتَ عنـــا الـــوحيُ والكتـــبُ

فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لما نُعيتَ وحالتْ دونك الكُثُبُ

وقالت:

ماذا على من شمَّ تربة أحمدٍ ... أن لا يشمَّ مدى الزَّمانِ غواليا

صُبَّتْ عليَّ مصائبٌ لو أنها ... صُبَّت على الأيام عُدْن لياليا

وقالت:

اغبرَّ آفاقُ السماء وكُوِّرَتْ ... شمسُ النهار وأظلم العصرانِ

والأرضُ من بعد النبي كئيبةٌ ... أسفًا عليه كثيرةُ الأحزان

فليبكه شرقُ البلاد وغربُها ... ولتبكه مضرٌ وكلُّ يماني

وليبكه الطودُ الأشم وجوُّه ... والبيتُ ذو الأستار والأركان

يا خاتم الرسل المباركُ صنوهُ ... صلى عليك مُنزلُ القرآن

ابنة عقيل بن أبي طالب

قالت في وقعة كربلاء بعد مقتل الحسين عليه السلام:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأممِ

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى وقتلى ضُرجوا بدمِ

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوءٍ في ذوي رحمي

وقالت:

عيني ابكي بعبرةٍ وعويلِ ... واندبي إن ندبْتِ آل الرسول

سبعةٌ كلُّهم لصُلْبِ عليٍّ ... قد أُصيبوا وخمسةٌ لِعَقيلِ

فريعة بنت همام الزلفاء

وهي المرأة التي سمعها عمرو بن الخطاب رضي اللهَّ عنه تنشد هذا الشعر:

يا ليت شعري عن نفسي أزاهقةٌ ... مني ولم أقض ما فيها من الحاج
ألا سبيل إلى خمرٍ فأشربها ... أم لا سبيلَ إلى نصرِ بنِ حجَّاجِ
إلى فتىً ماجد الأخلاق ذي كرم ... سهلِ المُحيَّا كريمٍ غير ملجاجِ
تنميه أعراق صدقٍ حيث تنسبه ... تضيءُ سُنَّتُه في الحالك الداجي
نعم الفتى في سواد الليل نصرته ... لبائسٍ أو لملهوفٍ ومحتاجِ
يا منيةً لم أرُمْ فيها بضائرةٍ ... والناسُ من صادقٍ منها ومن راجي

وبعد ذلك خافت حينما علمت أن عمر اطلع على أمرها، فأرسلت إليه:

قل للإمام الذي تُخشى بوادره ... مالي وللخمر أو نصر بن حجاج
إني عنيتُ أبا حفص بعدهما ... شرب الحليب وطرفي قاصرٌ ساجي
لا تجعل الظن حقًّا أو تيقنه ... إن السبيل سبيلُ الخائف الراجي
إن الهوى زمه التقوى وقيدهُ ... حتى أُقرَّ بإلجامٍ وإسراجِ

عاتكة بنت زيد
أخت سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشرين بالجنة

قالت ترثي عبد الله بن أبي بكر الصديق وقد قتل عنها في الطائف:

فللـه عينا من رأى مثله فتًى ... أكرَّ وأحمى في الهياج وأصبرا
اذا أُشرعت فيه الأسنةُ خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا
وآليتُ لا تنفك عيني حزينة ... عليك ولا ينفكُّ جلدي أغبرا

مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة ... وما طرد الليل الصباح المنوّرا
رزئتُ بخير الناس بعد نبيهم ... وبعد أبي بكر وما كان قصّرا

وقالت ترثي زوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عينُ جودي بعبرةٍ ونحيبِ ... لا تملي على الأمين النجيبِ
فجعتني المنونُ بالفارس المُعلَمِ ... يومَ الهياج والتثويبِ
عصمة الناس والمعينُ على الدهر ... وغيثُ المحروم والمحروبِ
قل لأهل الضراءِ والبؤسِ موتوا ... قد سقته المنونُ كأس شعوبِ

وقالت أيضًا:

وفجّعني فيروزُ لا در درُّه ... بأبيض تالٍ للكتابِ منيبِ
رءوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدى ... أخي ثقةٍ في النائبات مجيبِ
متى ما يقُلْ لا يكذبِ القول فعله ... سريعٌ إلى الخيرات غير قطوب

وقالت أيضا:

من لنفس عادها أحزانها ... ولعين شفها طولُ السَّهَدْ
جسدٌ لُفّ في اكفانه ... رحمةُ الله على ذاك الجسدْ
فيه تفجيعٌ لمولى غارمٍ ... لم يدعهُ الهمّ يمشي بِسَبَدْ

وقالت ترثي عمر أيضا:

منع الرقاد فعاد عيني عُودُ ... مما تضمن قلبي المعمودُ
يا ليلةً حسبت عليَّ نجومها ... فسهرتها والشامتون هُجودُ
قد كان يسهرني حذارك مرةً ... فاليوم حق لعيني التسهيدُ
أبكي أمير المؤمنين ودونه ... للزائرين صفائحٌ وصعيدُ

ولما قُتل عنها الزبير بن العوام قالت ترثيه:

غدر ابنُ جرموزٍ بفارسِ بهمةٍ ... يوم اللقاء وكان غير مُعرّدِ
يا عمروُ لو نبهتهُ لوجدته ... لا طائشًا رعش الجنان ولا اليد
كم غمرةٍ قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادُك يابن فقعِ القرْدَدِ
فاذهبْ فما ظفرتْ بداك بمثله ... فيمن مضى ممن يروحُ ويغتدي
إن الزبير لذو بلاءٍ صادقٍ ... سمحٌ سجيته كريمُ المشهدِ
هبلتك أمك أن قتلت لمُسْلمًا ... حقَّتْ عليك عقوبة المتعمدِ

ثم تزوجها الحسين بن علي، فقتل عنها، فقالت ترثيه:

وحسينًا فلا نسيتُ حسينًا ... أقصدتهُ أسِنَّةُ الأعداءِ
غادروه بكربلاءَ صريعًا ... جادت المزنُ في ذرى كربلاءِ

ثم تأيمت بعده، فكان عبد الله بن عمر يقول:

من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة...

عائشة بنت أبي بكر

رثت أباها بقولها:

إن ماءَ الجفون ينزحه الهمُّ ... وتبقى الهمومُ والأحزانُ
ليس بأسو جوى المُزاءِ ماءٌ ... سفَحْتهُ الشئونُ والأجفانُ

الشيماء- واسمها حذافة
بنت الحرث السعدية

أخت النبي عليه السلام من الرضاعة، كانت ترقصه صلى الله عليه وسلم وهو صغير وتقول:

يا ربنا أبق لنا محمدا ... حتى أراه يافعًا وأمردا
ثم أراهُ سيدا مُسودًا ... وأكبتْ أعاديه معًا والحُسَّدا
وأعطه عزًّا يدومُ أبدا

سكينة بنت الحسين

كانت زوجة مصعب بن الزبير، فلما قتل قالت:

فإن تقتلوه تقتلوا الماجدَ الذي ... يرى الموتَ إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسينُ منيةً ... إلى القوم حتى أوردوه حِماما

زينت بنت العوام
قالت ترثي أخاها الزبير بن العوام
وقد قتل في واقعة صفين وابنها عبد الله
وقد قتل يوم الجمل:

أعينيَّ جودا بالدموعِ فأشرعا ... على رجلِ طلقِ اليدين كريمِ
زبيرٍ وعبد الله يُدعى لحادثٍ ... وذي خلة منا وحمل يتيمِ
قتلتم حواريَّ النبي وصهرهُ ... وصاحبه فاستبشروا بجحيمِ
وقد هدني قتلُ ابن عفان قبلهُ ... وجادت عليه عبرتي بسُجومِ

وأيقنتُ أن الدين أصبح مدبرًا ... فماذا تُصلّي بعده وتصومي
وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما ... أُصيب ابنُ أروى وابنُ أُمّ حكيمَ

الرباب زوجة الحسين بن علي عليه السلام

رثته حين قتل بقولها:

إن الذي كان نورًا يُستضاء به ... بكربلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفونِ
سبط النبي جزاك الله صالحةً ... عنا وجُنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلًا صعبًا ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرُّحْمِ والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن ... نُعني ويأوي إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهرًا بصهركُمُ ... حتى أُغيبَ بين الرمل والطين

خولة بنت الأزور الكندية

كانت من الباسلات الجميلات ولها وقائع مشهورة في تاريخ الإسلام ولما أُسر أخوها ضرار بن الأزور في وقعة أجنادين. هجمت بالنساء وقاتلت بهن قتال المستميت حتى خلصت الأسري من أيدي الروم وكانت تقول:

نحن بنات تُبَّع وحمير ... وضربنا في القوم ليس يُنكَرْ
لأننا في الحرب نار تُسعرْ ... اليوم تُسقون العذاب الأكبرْ

وأُسِر أخوها مرة ثانية في مرج دابق فقالت:

ألا مخبرٌ بعد الفراق يُخبرنا ... فمن ذا الذي يا قومُ أشغلكم عنّا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقا ... لكُنّا وقفنا المَوَداعِ وودعنا

ألا يا غراب البين هل أنت مخبري ... فهل بقدومِ الغائبين تُبشرنا
لقد كانت الأيام تزهو لقربهم ... وكنَّا بهم نزهو وكانوا كما كنا
ألا قاتل الله النوى ما أمره ... وأقبحه ماذا يريد النوى منا
ذكرتُ ليالي الجمع كنا سويةً ... فقرَّقنا ريب الزمانِ وشتتنا
لئن رجعوا يومًا إلى دارِ عزهم ... لشمنا خفافًا للمطايا وقبلنا
ولم أنسَ إذ قالوا ضرارٌ مُقيَّدٌ ... تركناه في دار العدو ويمَّمْنا
فما هذه الأيام إلا معارةً ... وما نحن إلا مثل لفظٍ بلا معنى
أرى القلب لا يختارُ في الناس غيرهم ... إذا ما ذكرهم ذاكرٌ قلبي المضنى
سلامٌ على الأحباب في كل ساعةٍ ... وإن بعدوا عنَّا وإن مُنعوا مِنَّا

ثم قالت لا بد أن أخلصه وآخذ بثأره وتقدمت مع الجيش إلى أنطاكية مع النساء وهي تنشد:

أبعدَ أخي تلذُّ الغمض عيني ... فكيفَ ينامُ مقروحُ الجفونِ
سأبكي ما حييتُ على شقيقٍ ... أعزّ عليَّ من عيني اليمين
فلو أني لحقتُ به قتيلًا ... لهان عليَّ إذ هو غير هُونَ
وكنتُ إلى السلوِّ أرى طريقًا ... وأعلقُ منه بالحبلِ المتينِ
وإن معشرٌ من ماتَ منا ... فليس يموت موت المستكين
وإني إن يُقال قضى ضرارٌ ... لباكيةٌ بمنسجمٍ هتون
وقالوا لم بكاكِ فقلتُ مهلًا ... أما أبكي وقد قطعوا وتيني

وهجمت فخلصته من الأسر.

حميدة بنت النعمان بن بشير

تزوجت الحرث بن خالد بن العاص فقالت فيه:

نكحتُ المديني إذ جاءني ... فيا لك من نكحةٍ غاوية
له دفرٌ كصنان التيوسِ ... أعيا على المسكِ والغالية
كهول دمشق وشبانها ... أحبُّ إلينا من الجالية

وطلقها الحرث فتزوجت روْحًا بن زنباع الجذامي فنظر إليها يومًا تنظر إلى رهط من قومه جذام، فلامها فقالت له: والله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام وقالت تهجوه:

بكى الخزُّ من رَوْحٍ وأنكر جلده ... وعجَّتْ عجيجًا من جذامَ المطارفُ
وقال العبا قد كنتُ حينًا لباسكم ... وأكسيةٌ كرديةٌ وقطائفُ

وقالت فيه في محاورة بينهما:

أتنمي عليك بأن باعك ضيقٌ ... وبأن أصلك في جذامٍ مُلْصقُ

وقالت:

فثناؤنا شرُّ الثناءِ عليكم ... أسوا وأنتنُ من سلاح الثعلبِ

وقالت:

وهل أنا إلا مهرةٌ عربية ... سليلةُ أفراس تحلَّلها بغلُ
فإن نتجتْ مهرًا كريمًا فبالحرَا ... وإن يك إقرافٌ فما أنجب الفحلُ

وقالت:

سُمِّيتَ روحًا وأنت الغمَّ قد علموا ... لا روَّح الله عن روْح بن زنباعِ

وقالت:

تُكحّل عينيك عند العشيّ ... كأنك مومسةٌ زانيةْ
وآيةُ ذلك بعد الخلوقِ ... تُغلفُ رأسك بالغالية
وأن بنيك لريب الزمان ... أمست رقابهم حاليةْ
فلو كان أوسٌ لهم حاضرًا ... لقال لهم إن ذا ماليه

وتزوجت بعد رَوْح فتى اسمه الفيض بن محمد بن الحكم، وكان شابًا جميلًا يصيب من الشراب، وكان ربما أصاب مسكرًا وجاءها فقاء في حجرها فقالت:

سُمِّيت فيضًا وماشيءٌ تفيضُ به ... إلا سلاحك بين الباب والدار
فتلك دعوةُ روْحِ الخير أعرفُها ... سقى الآله صداه الا وطف الساري

وكان روح دعا عليها بذلك حين طلقته:

وقالت فيه:

ألا يا فيض كنتُ أراك فيضًا ... فلا فيضًا أصبت ولا فراتًا

وقالت فيه:

وليس فيضٌ بفياضٍ العطاء لنا ... لكنَّ فيضا لنا بالقيءِ فياضُ
ليث الليوث علينا باسلٌ شرسٌ ... وفي الحروب هيوبُ الصدْر جياضُ

وقالت في الحرث بن خالد:

فقدت الشيوخ وأشياعهم ... وذلك من بعض أقواليه
ترى زوجة الشيخ مغمومةً ... وتُمسي لصحبة قاليه

فـــلا بـــارك الله في عـــردهِ ولا في غـــضون اســـته الباليـــهْ

وهذه الأبيات وما قبلها مما يوافق هذه القافية كأنها قصيدة واحدة.

الجعفية
امرأة عمرو بن معديكرب الزبيدي

قالت ترثيه:

لقـد غـادر الركـب الـذي تحمَّلـوا بـروذة شخـصًا لا ضـعيفًا ولا غمـرا

فقـل لزبيـدٍ بـل لمـذحجَ كلهـا فقـد ثُـلمْ أبـا ثـورٍ سـنانكُمُ عَمْـرا

فـإن تجزعـوا لا يغـن ذلـك عـنكمُ ولكـن سـلوا الـرحمن يُعقـبكم صـبرا

ابنة عم النعمان بن بشير الأنصاري

تزوجها مالك بن عمرو الغساني، ثم قتل عنها فامسكت لهاتها حولًا فقال أهلها زوجوها غيره لعلها تسلو وتفيق فزوجوها رجلًا من أبناء الملوك فلما كان ليلة بنائه قالت:

يقـول رجـالٌ زوِّجوهـا لعلهـا تُفيـقُ وتـرضى بعـدَه بخليـلِ

فأضـمرتُ في الـنفس التـي لـيس بعـدهُ رجـاءٌ لهـا والـصدقُ أفـضلُ قيـلِ

أبعـدَ ابـن عمـروٍ سـيد القـومِ مالـكٍ أُزفُّ إلى زوجٍ بعـضب كليـلِ

وخـبرني أصـحابه أن مالكًـا خفيـفٌ عـلى العـلَّاتِ غـيرُ ثقيـلِ

وخـبرَّني أصـحابه أن مالكًـا ضروبٌ بـماضي الـشفرتين صـقيلِ

وخـبرني أصـحابه أن مالكًـا جـوادٌ بـما في الرحـلِ غـير بخيـلِ

وخـبرَّني أصـحابه أن مالكًـا ثـوى وتنـادى صـحبُه برحيـلِ

فما كان يشربني خليلي بخُلَّةٍ ... وما كنتُ أشري مالكًا بخليلِ

أم حكيم جويرية بنت قارظ
زوجة عبد الله بن العباس

ذبح الطاغية بسر بن أرطاة طفليها، وتركها ذاهلة اللب، تهيم في كل واد وتبكيهما بأشعار محزنة منها قولها:

ألا يا من سبى الأخوين ... من أمهما هي الثكلى

تسائلُ من رأى ابنيها ... وتستسقي فما تُسقى

فلما استيأست رجعت ... بعبرة والهٍ حرَّى

تتابع بين ولولةٍ ... وبين مدامعٍ تترى

ومن قولها:

يا من أحسَّ بابني اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدفُ

يا من أحسَّ بابني اللذين هما ... سمعي وقلبي فقلبي اليوم مُزْدهفُ

يا من أحسَّ بابني اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مختطفُ

نُبئت بُسرًا وما صدَّقت ما زعموا ... من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا

أنحى على ودَجَيْ طفليَّ مرهفةً ... مشحوذة وكذاك الإثم يُقْتَرَفُ

حتى لقيت رجالًا من أُرومته ... شم الأنوف لهم في قومهم شرفُ

فالآن ألعن بسرًا حق لعنته ... هذا العمراني بسر هو السَّرفُ

من دلَّ والهة حرّى مُوَلهةً ... على حبيبين قد ارداهما التلفُ

امرأة

غاب زوجها في بعث فقالت:

فـــوالله لـــولا الله والعـــارُ قبلَـــه ... لأمكنـــتُ مـــن حجـــليَّ مـــن لا أُناســـبُهْ

لـــيعلمَ مـــن في القـــيروان مقامُـــه ... أشـــد عليـــه مـــن عـــدوٍ يحاربُـــهْ

وهذان البيتان كأنهما من قول المرأة التي استمع إليها عمر بن الخطاب في المدينة وهي تقول:

تطـــاول هـــذا الليـــلُ تـــسري كواكبُـــهْ ... وأرّقنـــــي أن لا خليـــــل أُلاعبُـــــهْ

فـــــوالله لـــــولا الله لا شيء غـــــيره ... لزُحـــزح مـــن هـــذا الـــسرير جوانبُـــهْ

وبـــت أُلاهـــي غـــيرَ بـــدع ملعـــنٍ ... لطيـــفِ الحـــشا لا يجتويـــه مـــصاحبُهْ

يلاعبنـــــي طـــــورًا وطـــــورًا كـــــأنما ... بـــدا قمـــر في ظلمـــة الليـــل حاجبُـــهْ

يـــسرُ بـــه مـــن كـــان يلهـــو بقربـــه ... يعـــــاتبني في حبّـــــه وأُعاتبُـــــهْ

ولكننـــــي أخـــــشى رقيبًـــــا مـــــوكلًا ... بأنفـــسنا لا يفـــتر الـــدهر كاتبُـــهْ

أم عقبة زوجة غسان بن جهضم

كان غسان مفتونًا بها فحضرته الوفاة؛ فقال لها إني أسائلك عما تفعلين بعدي وأنشدها أبياتا فأجابته:

قـــد ســـمعنا الـــذي تقـــول ومـــا قـــد ... خفتـــه يـــا خليـــلُ مـــن أُم عقبـــةْ

أنـــا مـــن أحفـــظ النـــساءِ وارعاهـــا لمـــا ... قـــد أوليـــت مـــن حُـــسْنِ صُـــحبةْ

ســـوف أبكيـــك مـــا حييـــت بـــشجوٍ ... ومـــــراثٍ أقولهـــــا وبندبـــــةْ

فلما مات خطبت من كل جانب فقالت:

سأحفظُ غسانًا على بُعدِ داره ... وأرعاه حتى نلتقي يوم نُحشرُ
وأني لفي شُغلٍ عن الناس كلهم ... فكفوا فما مثلي بمن مات يغدرُ
سأبكي عليه ما حييت بعبرةٍ ... تجول على الخدين مني فتهمرُ

ثم طالت عليها الأيام فقالت: من مات فقد فات، وتزوجت... من أحد خطابها وقبل دخوله بها رأت زوجها الأول في المنام يعاتبها في شعر، فانتبهت مرتاعة وأخذت مدية فذبحت نفسها:

فقالت امرأة في ذلك:

لله درُّك ماذا ... لقيت من غسان
قتلتِ نفسك حزنًا ... يا خيرة النسوان
وفيتِ من بعدِ ما قد ... همت بالعصيان
وذو المعالي غفورٌ ... لسقطة الإنسان
إن الوفاء من الله ... لم يزل بمكان

امرأة

من أجمل الناس كانت تندب زوجها واسمه بُرَيدٌ على قبره بهذه الأبيات رواها الأصمعي:

هل خبَّر القبر سائليه ... أم قرَّ عينًا بزائريه
أم هل تراه أحاط علمًا ... بالجسد المستكين فيه
لو يعلم القبر من يواري ... تاه على كل ما يليه

تحلو نعم عنده سماحًا ... ولم تدر قط لا بفيه
أنعي بريدًا لمعتفيه ... أنعي بُريدًا لمجتديه
أنعي بريدًا إلى حروب ... تحسر عن منظر كريه
أندب من لا يحيط علمًا ... بكنهه بلغُ نادبيه
يا جبلًا كان ذا امتناع ... وطود عز لمن يليه
ونخلةً طلعها نضيد ... يقرب من كف مجتنيه
ويا مريضًا على بلاءٍ ... كان به الله يبتليه
يا دهرُ ماذا أردت مني ... أخلفت ما كنت أرتجيه
دهر رماني بفقد إلفي ... أذم دهري وأشتكيه
آمنك الله كل خوفٍ ... وكل ما كنت تتقيه
اسكنك الله في جنان ... تكون أمنًا لساكنيه

أم خالد النميرية

قالت ترثي ولدها وكان توفي في بعض الغزوات ودفن في الغربة:

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضه ... أتتنا برياه فطاب هبوبها
أتتنا بمسكٍ خالط المسك عنبرٌ ... وريح خزامى باكرتها جنوبها
أحنُّ لذكراه إذا ما ذكرتهُ ... وتنهلُّ عبراتٌ تفيضُ غروبها
حنين أسيرٍ نازحٍ شُدَّ قيدُه ... وإعوال نفسٍ غاب عنها حبيبها

وقالت:

وكيف يأوي خالدًا أو ينالُه ... خميص من التقوى بطين من الخمر

أعرابية

قالت ترثي ابنها:

تختلتــهُ المنــون بعــد اختيــالِ ... بــين صَــفْين مــن قنــا ونــصالِ

في رداءٍ مــن الــصفيح جديــدٍ ... وقمــيصٍ مــن الحديــد مُــذالِ

كنــت أخبــاك لاعتــداءِ يــد الــدهرِ ... ولم تخطــرِ المنــونُ ببــالي

أم سنان بنت جشمة
من أنصار علي رضي الله عنه

وفدت على معاوية تشكو مروان بن الحكم والي المدينة، فقال معاوية: كيف قولك:

عــزب الرقــاد فمقلتــي لا ترقــد ... والليــل يــصدر بــالهموم ويــوردُ

يــا آل مــذحج لا مقــام فــشمروا ... أن العــدو لآل أحمــد يقــصدُ

هــذا عــلي كــالهلال تحفــه ... وسـط الـسماءِ مـن الكواكـب أسـعدُ

خــير الخلائــق وابــن عــم محمــد ... إن يهــدكم بــالنور منــه تهتــدوا

مــا زال مــذ شــهر الحــروب مظفــرًا ... والنــصر فــوق لوائــه مــا يفقــدُ

قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو أن تكون خلفًا، وهي القائلة:

أمــا هلكــت أبــا الحــسين فلــم تــزل ... بــالحق تعــرف هاديًــا مهــديا

فاذهــب عليــك صــلاة ربــك مــا دعــت ... فــوق الغــصون حمامــة قمريــا

قــد كنــت بعــد محمــد خلفًــا كــما ... أوصى إليــك بنــا فكنــت وفيــا

أم البراء بنت صفوان
من أنصار الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

قالت يوم حرب صفين:

يا عمرو دونك صارمًا ذا رونقٍ ... عضب المهزة ليس بالخوار
أسرج جوادك مسرعًا ومشمرًا ... للحرب غير معردٍ لفرار
أجب الإمام ودب تحت لوائه ... وافرِ العدوَّ بصارم بتَّار
يا ليتني أصبحت ليس بعورةٍ ... فأذب عنه عساكر الفجار

وقالت في رثاء الإمام كرم الله وجهه:

يا للرجال لعظم هول مصيبة ... قدحت فليس مصابها بالهازل
الشمس كاسفة لفقد أمامنا ... خير الخلائق والإمام العادل
يا خيرَ من ركب المطيَّ ومن مشى ... فوق التراب لمحتفٍ أو ناعل
حاشا النبي لقد هددت قواءنا ... فالحق أصبح خاضعًا للباطل

بكارة الهلالية
من أنصار علي كرم الله وجهه

قالت:

يا زيد دونك فاستتر من دارنا ... سيفًا حسامًا في التراب دفينا
قد كنت أذخره لكل عظيمةٍ ... فاليوم أبرزه الزمان مصونا

وهي القائلة:

أترى ابن هند للخلافة مالكًا ... هيهات ذاك وأن أراد بعيدُ

متـــك نفـــسك في الخـــلاء ضـــلالة ... أغـــراك عمـــرو للـــشقا وســـعيدُ
فـــارجع بانكبـــد طـــائر بنحوســـها ... لاقـــت عليًّـــا أســـعُدٌ وســـعودُ

وهي القائلة: -

قـــد كنـــت أطمـــع أن أمـــوت ولا أرى ... فـــوق المنـــابر مـــن أُميـــة خاطبًـــا
فـــالله أخـــر مـــدتي فتطاولـــت ... حتـــى رأيـــت مـــن الزمـــان عجائبـــا
في كـــل يـــوم لا يـــزال خطيـــبهم ... بـــين الجمـــوع لآل أحمـــد عائبًـــا

سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية
من أنصار علي كرم الله وجهه

وفدت على معاوية بن أبي سفيان، فقال لها: أنت القائلة لأبيك يوم صفين:

شـــمر كفعـــل أبيـــك يـــا ابـــن عـــمارة ... يـــوم الطعـــان وملتقـــى الأقـــرانِ
وانـــصر عليًّـــا والحـــسين ورهطـــه ... واقـــصد لهنـــد وابنهـــا بهـــوانِ
إن الإمـــام أخـــو النبـــي محمـــد ... علـــم الهـــدي ومنـــارة الإيـــمان
فَقُـــدِ الجيـــوش وسر إمـــام لوائـــه ... قُـــدُمًا بـــأبيض صـــارمٍ وســـنانِ

فقالت: يا أمير المؤمنين مات الرأس وبُتر الذنب، فدع عنك تذكار ما قد نسي، قال: هيهات ليس مثل مقام أخيك يُنسى، قالت صدقت، وبالله اسألك اعفائي مما استعفيته، قال قد فعلت: فما حاجتك؟؟ فذكرتها، فقضاها لها

وقالت:

صـــلَّى الإلـــه عـــلى جـــسم تـــضمنه ... قـــبرٌ فأصـــبح فيـــه العـــدل مـــدفونا
قـــد حـــالف الحـــق لا يبغـــي بـــه بـــدلًا ... فـــصار بـــالحق والإيـــمان مقرونـــا

هند بنت يزيد الأنصارية

من أنصار علي كرم الله وجهه وهي امرأة ممتازة بحسن الرأي وجودة البيان.

قالت ترثي حُجرًا بن عدي:

تَرَفَّعْ أيها القمر المنير ... تبصر هل ترى حُجْرًا يسيرُ

يسيرُ إلى معاوية بن حربٍ ... ليقتُلَه كما زعم الأميرُ

تجبرت الجبابرُ بعد حُجْرٍ ... وطاب لها الخورنقُ والسديرُ

وأصبحت البلاد لها تحولًا ... كأن لم يُحيها برقٌ مطيرُ

ألا يا ليت حُجْرًا مات موتًا ... ولم يُنحر كما نُحِرَ البعيرُ

ألا يا حُجرُ حُجرَ بني عديٍّ ... تلقَّتْك السلامةُ والسرورُ

أخافُ عليك ما أردى عديًّا ... وشيخًا في دمشق له زئيرُ

يرى قتل الخيار عليه حقًّا ... له من شرِّ أمته وزيرُ

فإن يَنْزِلْكَ فكلُّ زعيم قومٍ ... من الدنيا إلى هُلْكٍ يصيرُ

وقالت:

دموع عيني ديمةٌ تقطرُ ... تبكي على حُجْرٍ ولا تفترُ

لو كانت القوس على أُسرةٍ ... ما حملَ السيفَ له الأعورُ

وقالت:

لقد مات بالبيضاء من جانب الحمى ... فتًى كان زينًا للكواكب والشُّهْبِ

يلوذ به الجاني مخافة ما جنى ... كما لاذت العصماءُ بالشاهقِ الصعبِ

تظلُّ بناتُ العمِّ والخالِ حوله ... صوادي لا يروين بالبارد العذبِ

بنت لبيد بن ربيعة العامري
الشاعر المعمر المشهور

أرسل له الوليد هدية مع كتاب شعري، فقال لابنته أجيبيه فقد كنت ما أعيي بجواب شاعرٌ، فقالت:

إذا هَبَّتْ رياحُ أبي عقيلٍ ... دعونا عند هبّتها الوليدا
أشَمَّ الأنفِ أصيدَ عبشميًّا ... أعان على مروّتهِ لبيدا
بأمثال الهضابِ كأن ركبًا ... عليها من بني حام قعودا
أبا وهبٍ جزاك الله خيرًا ... نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعُدْ إن الكريم له معادٌ ... وظني يا ابن أروى أن تعودا

عفراء بنت عقال العذرية
صاحبة عروة بن حزام توفيت سنة ٢٨ للهجرة

لما مات رثته بهذه الأبيات:

ألا أيها الركب المجدون ويحكم ... بحقِ نعيتم عروةَ ابن حزامِ
فان كان حقًّا ما تقولون فاعلموا ... بأن قد نعيتم بدر كل ظلامِ
فلا تهنئي الفتيان بعدك لذةٌ ... ولا رجعوا من غيبة بسلامِ
وقل للحبالى لا ترجين غائبًا ... ولا فرحاتٍ بعده بغلامِ
ولا لا بلغتم حيث وجهتم له ... ونغصتم لذات كل طعامِ

وينسب إليها:

عداني أن أزورك يا مرادي ... معاشر كلهم واشٍ حسود
أذاعوا ما علمت من الدواهي ... وعابونا وما فيهم رشيدُ

فأمـــا إذ حللـــت بـــبطن أرض وقـــصر النـــاس كلهـــم اللحـــودُ
فـــلا بقيـــت لي الـــدنيا فواقًـــا ولا لهـــم ولا أثـــرى عديـــدُ

أم حكيم بنت يحيى

ألا فاســقياني مــن شرابكــا الــوردي وإن كنـت قـد انفـدت فاسـترهنا بـردي
سـواري ودملـوجي ومـا ملكـت يـدي مبـاح لكـم نهـبٌ ولا تقطعـوا وردي

أم حمادة الهمذانية

دار الهـــوى بعبـــاد الله كلهـــم حتـــى إذا مـــرَّ بي مـــن بيـــنهم وقفـــا
إني لأعجـــب مـــن قلـــب يكلفكـــم ومـــا يـــرى مـــنكم بـــرًّا ولا لطفـــا
لـــولا شـــقاوة جـــدي مـــا عـــرفتكمُ إن الـــشقيَّ الـــذي يـــشقى بمـــن عرفـــا

وقالت:

شـــكوتُ إليهـــا الحـــبَّ قالـــت كـــذبتني ألـــست أرى الأجـــلاد منـــك كواســـيا
رويـــدك حتـــى يبـــتلي الـــشوقُ والهـــوى عظامـــك حتـــى يـــرتجعن بواديـــا
ويأخـــذك الوســـواسُ مـــن لوعـــة الهـــوى وتخـــرس حتـــى لا تجيـــب المناديـــا

امرأة اسمها أميمة

قالت تذم زوجها:

أني نـــدمت عـــلى مـــا كـــان مـــن عجبـــي وأقـــصر الـــدهر عنـــي أي إقـــصار
فليتنـــي يـــوم قـــالوا أنـــت زوجتـــه أصـــابني ذونيـــوب ســـمه ضـــاري

يـا رب إن كنـت في الجنـاتِ مدخلـه فاجعـل أُميمـة رب النـاس في النـارِ

أعرابية

كانت ترقص ولدها وتقول:

يـا حبـذا ريـح الولـدْ ريـحُ الخزامـى في البلـدْ
أهكـذا كـلُّ ولـدْ أم لم يلـدْ مـثلي أحـدْ

أم ظبية

زوجت امرأة اسمها أم جحدر ابنتها إلى رجل قبيح المنظر، فقالت أم ظبية:

لقـد دلَّـس الخطـاب يـا أم جحـدر لكـم في سـواد الليـل إحـدى العظـائم
ألم تنظـري حُييـت يـا أم جحـدر إلى وجهـه لـو حـدرةٍ في القـوائم

وقالت للرجل:

وان أناسًـا زوجـوك فتـاتهم لجـدٌّ حـراصٍ أن يكـون لهـا بعـلُ

أم الأسود الكلابية

قالت تهجو زوجها:

سـأنذر بعـدي كـل بيـضاءَ حـرةٍ منعمـة خـود كـريم نجارهـا
قـصير قُبـال النعـل بـضحى وهمـه قريـب ويمـسي حيـث يُعـشيه نارهـا
إذا قـال قـد أشـبعتني بـات راضـيًا لـه شـملة بيـضاءُ ضـاق خمارهـا
يـرى الطيـب عـارًا أن يمـس ثيابـه أو المـسك يومًـا إن عـلاه صـوارها
ولكنـه مـن رطـب أخثـا صـنانه إذا أمرعـت بـالكف منـه ديارهـا

وطـير بـذيال يـرى الليـل متنـه ... لناقتـه حتـى يحـين اذكارهـا
بعيـد المـدى يقـضي الكـرى فـوق رحلـه ... إذا القـوم بالمومـاة حـار شرارهـا
لعمـر أبي مـا خـار لي أن يبيعنـي ... بـابعرة إذ قحمتـه عـشارها
فـوالله لـولا النـار أو أن يـرى أبي ... لـه قـودًا أو أن ينـالني عارهـا
لقـد نازعـت كفـي المهنـد ضربـة ... وكـان عليـه خبلهـا وشـنارها

أسماء صاحبة جعد
ابن مهجع العذري

احبها جعد، وتزوجها في قصة طويلة، فأبدت له بعد الزواج كثيرًا من الحب كانت تخفيه عنه من قبل، وسألها عن ذلك فقالت:

كتمـت الهـوى أني رأيتـك جازعًـا ... فقلـتُ فتًـى بُعـدَ الـصديق يريـدُ
فـان تطرحنـي أو تقـول فتيَّـة ... يـضربها بـرح الهـوى فتعـودُ
فورَّيـت عـما بي وفي الكبـد والحـشا ... مـن الوجـدِ بـرحٌ فـاعلمنَّ شـديدُ

أميمة امرأة ابن الدمينة

عاتبها زوجها في شيء كان بينهما بأبياتٍ من الشعر وكان شاعرًا مشهورًا من شعراء الغزل والرقة فقالت:

وأنـت الـذي اخلفتنـي مـا وعـدتني ... وأشـمتَّ بي مـن كـان فيـك يلـومُ
وأبرزتنـي للنـاس ثـم تركتنـي ... لهـم غرضًـا أُرمـى وأنـت سـليمُ
فلـو كـان قـول يكلـم الجـسد قـد بـدا ... بجـسمي مـن قـول الوشـاة كُلـومُ

امرأة أبي حمزة الضبي

هجرها زوجها حين ولدت بنتًا ومر يومًا بخبائها فإذا هي ترقصها وتقول:

مـــا لأبي حمـــزة لا يأتينـــا ... يظـــل في البيـــت الـــذي يلينـــا

غـــضبان ألا نلـــد البنينـــا ... تـــالله مـــا ذلـــك في أيـــدينا

وإنـــا نأخـــذ مـــا أُعطينـــا ... ونحـــن كـــالأرض لزارعينـــا

ننبـــتُ مـــا قـــد زرعـــوه فينـــا

فرق لها وصالحها...

بنت أسلم بن عبد البكري

قبض الحجاج على أبيها ورام قتله، فقال: أيها الأمير إني أعول أربعًا وعشرين امرأة، وأحضرهن، وكان في آخرهن جارية قاربت عشر سنين فقال لها: من أنت منه؟ قالت: ابنته ثم انشأت تقول:

أحجـــاج لم تـــشهد مقـــام بناتـــه ... وعماتـــه يندبنـــه الليـــل أجمعـــا

أحجـــاج لم تقتـــل بـــه إن قتلتـــه ... ثمانًـــا وعـــشرًا واثنتـــين وأربعـــا

أحجـــاج مـــن هـــذا يقـــوم مقامـــه ... علينـــا فمهـــلًا لا تزدنـــا تضعـــضعا

أحجـــاج إمـــا أن تجـــود بنعمـــة ... علينـــا وإمـــا أن تقتلنـــا معـــا

فرق لها الحجاج وبكى وكتب إلى عبد الملك يخبره بأمرهم، فكتب إليه أن يحسن صلتهم ويعفو عن الرجل.

جهيرة الثعلبية

تقوَّل عليها أحدهم أنها راودته عن نفسه في شعر فقالت:

لحـا الله قومًـا أنـت مـنهم فـإنهم ... لئـام مـساعيهم سراع إلى الغـدر

فلـو كنـت حـرًّا بـالعين وقلـت لي ... جميلًا ومعروفًـا ضـعفت عـن الشكر

خيرة أم ضيغم البلوية

عشقت ابن عمٍّ لها فدرى أهلها فحجبوها فقالت:

هجرتـك لمـا أن هجرتـك أصـبحت ... بنـا شُـمَّتًا تلـك العيـون الكواشـح

فـلا يفـرح ألواشـون بـالهجر ربـما ... أطـال المحـب الهجـر والجيـب ناصـح

وتعـدو النـوى بـين المحبـين والهـوى ... مـع القلـب مطـوي عليـه الجـوانح

.....

فـما نطفـة مـن مـاء بهمـين عذبـةٍ ... تمتـع مـن أيـدي السـقاة أرومهـا

بأطيـب مـن فيـه لـو أنـك ذقتـه ... إذا ليـة أسـحت وغـاب نجومهـا

فهـل ليلـة البطحـاءِ عائـدة لنـا ... فـدتها الليـالي خيرهـا وذميمهـا

فـإن هـي عـادت مثلهـا فأليـةً ... عـليَّ وأيـام الحـرور أصـومها

.....

وثبنـا خـلاف الحـي لا نحـن مـنهم ... ولا نحـن بالأعـداء مختلطـان

وبتنـا يقينـا سـقاط الطـلِّ والنـدى ... مـن الليـل بُـردا يمنـةٍ عطـرانِ

نـذود بـذكر الله عنـا مـن الصبا ... إذا كـان قلبانـا بنـا يجفـان
ونـصدر عـن أمـر العفـاف وريـنا ... نقعنـا غليـل الـنفس بالرشـفان

زوجة الوليد
أخت عمرو بن سعيد

قالت ترثي أخاها وكان قد قتله عبد الملك بن مروان:

أيـا عـين جـودي بالـدموع عـلى عمـرو ... عـشيّة أُوتينـا الخلافـة بـالقهرِ
غـدرتم بعمـرو يـا بنـي خـيط باطـل ... وكلكـم يبنـي البيـوت عـلى الغـدر
ومـا كـان عمـرو عـاجزًا غـير أنـه ... اتتـه المنايـا بغتـةً وهـو لا يـدري
كـأن بنـي مـروان إذ يقتلونـه ... خـشاش مـن الطـير اجتمعن عـلى صـقر
لحـا الله دنيـا تعقـب الـذل أهلهـا ... وتهتـك مـا بـين القرابـة مـن سـترِ
ألا يـالقومي للوفـاء وللغـدر ... وللمغلقـين البـاب قسـرًا عـلى عمـرو
فرحنـا وراح الـشامتون عـشيةً ... كـأن عـلى أعناقهم فلـق الـصخرِ

زينب بنت الطثرية

قالت ترثي أخاها (يزيد) وكان شاعرًا:

أرى الأثـل مـن وادي العقيـق مجـاوري ... مقـيمًا وقـد غالـت يزيـد غوائلـه
فتًـى قُـدَّ قـد الـسيف لا متـضائلٌ ... ولا رهـلٌ لبانـه وبآدلـهْ
فتًـى لا تـرى قـدَّ القمـيص بخـصره ... ولكـنما تـوهي القمـيصَ كواهلـهْ
فتـى لـير لابـن العـم كالـذئب أن رأى ... بـصاحبه يومًـا دمًـا فهـو آكلـهْ
يـسرك مظلومًـا ويُرضـيك ظالمًـا ... وكـل الـذي حملتـه فهـو حاملـه

إذا نـــزل الـــضيفان كـــان عـــذورًا ... عـــلى الحـــي حتـــى تـــستقل مراجلـــه
إذا مـــا طهـــا القـــوم كـــان كأنـــه ... حمـــيٌّ وكانـــت شـــيمة لا تزايلـــه
إذا القـــوم أمـــوا بيتـــه فهـــو عامـــد ... لا فـــضل مـــا ظنـــوا بـــه فهـــو فاعلـــه
إذا جـــد عنـــد المجـــد ارضـــاك جِـــدُّه ... وذو باطـــل إن شـــئت أهـــاك باطلـــه
مـــضى وورثنـــاه دريـــسَ مفاضـــةٍ ... وابـــيض هنـــديا طـــويلا حمائلـــه
وقـــد كـــان يُـــروى المـــشرفي بكفـــه ... ويبلـــغ أقـــصى حجـــرة الحـــي نائلـــه
كـــــريم إذا لاقيتـــــه مُتبـــــسّمًا ... وأمـــا تـــوَلّى أشـــعث الـــرأس جافلـــه
تـــرى جازريـــه يُرعـــدان ونـــاره ... عليهـــا عـــداميلُ الهـــشيم وصـــامله
يجـــران ثنيـــا خيرهـــا عظـــمُ جـــاره ... بـــصيرًا بهـــا لم تَعْـــدُ عنهـــا مـــشاغله
ولـــو كنـــت في غُـــلٍّ فبحـــتُ بلـــوعتي ... إليـــه للانـــت لي ورقـــت سلاســـله
ولمـــا عـــصاني القلـــب اظهـــرت عولـــةً ... وقلـــت ألا قلـــب بقلبـــي أُبادلـــهْ
ســـيبكيه مـــولاه إذا مـــا ترفعـــت ... عـــن الـــساق عنـــد الـــروغ يومًـــا ذلاذلـــه
وكنـــت أعـــيِر الـــدمع قبلـــك مـــن بكـــى ... وأنـــت عـــلى مـــن مـــات بعـــدك شـــاغله

شقراء ابنة الحباب

قالت في يحيى بن حمزة:

محاحـــبُّ يحيـــى حُـــبَّ بَعْـــلى فأصـــبحتْ ... ليحيـــى تـــوالي حُبنـــا وأوائلـــه
ألا بـــأبي يحيـــى ومثنـــى ردائـــه ... وحيـــث التقـــت مـــن مـــتن يحيـــى حمائلـــه
أأُضرب في يحيـــى وبينـــي وبينـــه ... تنـــايف لـــو تـــسري بهـــا الـــريح كلـــتِ
ألا ليـــت يحيـــى يـــوم عبهـــل زارنـــا ... وأن نهلـــت منـــا الـــسياط وعلَّـــتِ

وقالت:

أقـــول لعمـــرو والـــسياط تلفنـــي ... لهـــن عـــلى متنـــيَّ شر دليـــلِ
فاشـــهد يـــا غـــيران أني أحبـــه ... بـــوطك لا أقلـــع وأنـــت ذليـــل

.....

خلـــيليَّ إن اصـــعدتما أو هبطـــتما ... بـــلادًا هـــوى نفـــسي بهـــا فاذكرانيـــا
ولا تـــدعا إن لامنـــي ثـــم لائـــم ... عـــلى ســـخط الواشـــين أن تعـــذرانيا
فقـــد شـــف قلبـــي بعـــد طـــول تجلـــدي ... أحاديـــث مـــن يحيـــى تـــشيبُ النواصـــيا
ســـأرعى ليحيـــى الـــود مـــا هبـــت الـــصبا ... وإن قطعـــوا في ذاك عمـــدًا لـــسانيا

عفراء بنت الأحمر الخزاعية

أحبت ابن عمها الحرث وأحبها ومنعا من الزواج فمرض وكتب إليها شعرًا أنه سيموت إن لم تكتب إليه رسالة تقوم مقام العيادة. فأجابته:

كُفيـــت الـــذي تخـــشى وصرت إلى المنـــى ... ونلـــت الـــذي تهـــوى بـــرغم الحواســـد
ووالله لـــــولا أن يقـــــال تظننـــــا ... بي الـــسوءُ مـــا جانبـــتُ فعـــل العوائـــدِ

عمرة بنت مرداس
ابن أبي عامر (أمها الخنساء) توفيت سنة ٤٨هـ

قالت ترثي أخاها يزيد:

أعينـــي لم أخـــتلكما بخيانـــة ... أبي الـــدهر والأيـــام أن أتـــصبرا
ومـــا كـــن أخـــشى أن أكـــون كـــأنني ... بعـــيرٌ إذا يُنعـــى أُخـــيّ تحـــسرا

تـرى الخـصم زورًا عـن أُحـيَّ مهابـةً ولـيس الجلـيس عـن أُخـيَّ بـأزورا

وقالت في أخيها العباس وقد مات في الشام سنة ١٦ هـ

لتبـك ابـن مـرداس عـلى مـا عـراهم عـشيرته إذ حُـمَّ أمـس زوالهـا
لـدى الخـصم إذ عنـد الأمـير كفـاهم فكـان إليهـا فـضلها وحلالهـا
ومعـضلةٍ للحـاملين كفيتهـا إذا انهكـت هـوج الريـاحِ طلالهـا

وقالت تذكر ابنها الأقيصر بن نشبة وكان مات صغيرًا وتعرض بأخيها شداد لأنه كان شامتًا بموته:

مـن مبلـغ عنـي فلانًـا رسـالةً فـما أنـت عـن قـول السفاه بمُعْتَـبِ
تظـير حـولي والـبلاد بـراقش لأروع طـلَّاب الـتراتِ مُطَلَّـبِ
فـان يـك قـد ولى الأُقيـصر وانقـضى بـه رائـب مـن دهـره المتقلـبِ
فقـد كـان حـصنًا لا يُـرام ومعقـلًا عظـيم رمـاد القـدر غـير مـسببِ
تـولى بـأخلاقٍ عليـك كفاكهـا وهـذب قبـل المـوت مـا لم تُهـذبِ
وقـد تعلـم الخنـساء أن فراشـها لُمجـلَّى إذا مـا هـمَّ يومًـا بِرُكَّـبِ
إذا انقلـب الإبـرامُ أيقنـتُ أنـه مقـارنُ شـمسٍ أو مقـارنُ كوكـب
عـلى كـل عجـماء البغـامِ كأنـه واقتـادُه منهـا عـلى أم تولـبِ
يـرنُّ بروضـات الفـلاة كـأنما يُرَّجـع في أنبـوب غـابٍ مُثَقَّـبِ
قـد اعتـدَّ للأعـداء بيـضاءَ صـفوةً كمـتن غـدير الروضـة المتـصببِ
ومُطـردًا لـدن الكعـوب وصـارمًا حُـسامًا متـى يعـلُ الـضربة تُقـصبِ
وطرفًـا جناحيًـا تـودد صـنعه أديبـا إذا مـا قـال صـاحبهُ هـبِ

وقالت تذكر أباها مرداسًا وكان يقال له الفيض لفرط سخائه:

لقد أرانا وفينا سامرٌ لجبٌ ... مصارخٌ فيهم عزٌ ومرتغبُ
لا يرفع الناس فتقًا حين يفتقه ... ويرقعُ الخرق قد أعيا فيرتتبُ
والفيض فينا شهاب يُستضاءُ به ... أنا كذلك فينا توجد الشهُبُ
إذا نحن بالأثم نرعاه وتنسكنه ... جولٌ فوارسها كالبحر يضطربُ
كأن مُلقى المساحي من سبائكها ... بين الخبو إلى سِعرٍ إذا ركبوا
فيها الذلول وفيها كل معترض ... يُفني ضغينته التعداء والخببُ
قِيا تنازعها الأرسان قاملةً ... لاحققات ولا ميلٌ ولا ثَلَبُ

وقالت ترثي أخاها يزيد:

أَجدَّ ابن أمي أن لا يئوبا ... وكان ابن أمي جليدًا نجيبا
تقيًا نقيا رحيب المقام ... كميًّا صليبًا لبيبًا خطيبا
حليمًا أريبًا إذا ما بدا ... سديد المقالة صُلبًا دريبا
وحسناءَ في القول منسوبة ... تكشف عن حاجبيها السبيبا
فشد بمنطقه مُقصرًا ... فدارت به تستطيفُ الركوبا
تشف سنابكها بالعرى ... وتطرح بالطرف عنها العيوبا
فلما علاها استمرت به ... كما أفرغ الناضحان الذنوبا
وأجرى اجاريها كلها ... ومن كل جري تلاقي نصيبا
أتى الناس من بعد ما أحلوا ... فقال وجدتم مكانًا خصيبا
فساروا إليه وقالوا استقم ... فلم يجدوه هلوعًا هيوبا
يقوم إذا افزعوا مسكوا ... وادرك منهم ركوبٌ ركوبا
وطعنة خلسٍ تلافيتها ... كعط النساء الرداء الحجوبا
وحوراءَ في القوم مظلومةٍ ... كأن على دفتيها كثيبا

تيممتهـــا غـــير مـــستأمرٍ ... فعرقبتهـــا وهـــزرت القـــضيبا
فظلـــت تكـــوس عـــلى أكـــرُعٍ ... ثـــلاثٍ وغـــادرت أخـــرى خـــضيبا
وقلـــت لـــصاحبها لا تُـــرعْ ... فلـــم يعـــدم القـــومُ نُـــصحًا قريبًـــا
فـــراح يُعـــدي عـــلى جَـــسْرَةٍ ... أمـــونٍ وغـــادرت رحـــلا جنيبـــا
وزقٍ ســـــباه لأصـــــحابهْ ... فظـــلَّ يُحيـــا وظلـــوا شروبـــا

عاتكة المرية

عشقت عاتكة ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت:

ومـــا طعـــمُ مـــاءٍ أي مـــاءٍ تقولـــه ... تحـــذَّرَ عـــن غُـــرِّ طـــوالِ الـــذوائبِ
بمنعـــرجٍ مـــن بطـــن واد تقابلـــتْ ... عليـــه ريـــاح الـــصيف مـــن كـــل جانـــبِ
نفَـــتْ جريـــةُ المـــاء القـــذى عـــن متونـــه ... فـــما إن بـــه عيـــبٌ تـــراه لـــشاربِ
بأطيـــب ممـــن يقـــصر الطـــرف دونـــه ... تقـــى الله واســـتحياءُ بعـــض العواقـــبِ

جارية

لسليمان بن عبد الملك، أحبها غلام فكتب إليها شعرًا، معناه أنه رآها في المنام تعانقه... فأجابته:

خـــيرًا رأيـــت وكـــل مـــا عاينتـــه ... ســـتناله منـــي بـــرغم الحاســـد
أني لأرجـــو أن تكـــون معـــانقي ... فتبيـــت منـــي فـــوق ثـــدي ناهـــدِ
وأراك بـــين خلاخـــلي ودمـــالجي ... وأراك بـــين مـــراحلي ومجاســـدي

فبلغ ذلك سليمان فزوجها...

جارية من بني عامر بن صعصعة

تزوجها أحد الأمراء وأكرمها وأخذ أطمارها التي كانت عليها يوم خطبها فوضعها في صندوق وقفل عليها. ثم ذهب بها إلى الشام. وحدَّث بذلك عبد الملك بن مروان فأراد عبد الملك أن ينظر إلى تلك الأطمار، فكتبت إليه:

يـا ابـن الـذوائب مـن أُميـة والـذي ... صـارت إليـه خلافـة الجبـارِ

فـيم اسـتفزَّك خالـد بحديثـه ... حتـى هممـت بـأن تـرى أطـماري

فلـئن هـزأت بـسحق ثـوب ناحـل ... أني لمـن قـوم ذوي أخطـارِ

لا يبطـرون لـدى اليـسار ولا هـم ... دُنُـس الثيـاب يـرون في الإعـسارِ

فـارفض بطالـة خالـدٍ وحديثـه ... واحفـظ كريمـة معـشر أخيـارِ

فلما قرأ شعرها أوصى خالدًا بها وإكرامها بمائة ألف درهم.

امرأة

تقول لزوجها -وهو أحسن ما قيل في واجب المرأة الشريفة:

قـصارك منـي النـصح مـا دمـتُ حيـةً ... ووُدٌّ مـاء المـزن غـير مـشوب

وآخـر شيءٍ أنـت لي عنـد مرقـدي ... وأول شيءٍ أنـت عنـد هبـوبي

امرأة

يضايقها زوجها، فيضيق صدرها، فتنفس عن نفسها بهذه الأبيات:

يـا مـن يلـذذ نفـسه بعـذابي ... ويـرى مقـاربتي أشـد عـذابِ

مهـما يـلاقِ الـصابرون فـإنهم ... يُوَتـون أجـرهم بغـير حـسابِ

لـو كنـت مـن أهـل الوفـاء وفيـت لي ... إن الوفـــاء حـــلى أولي الألبـــابِ
مـا زلـت في استعطاف قلبـك بـالهوى ... كـالمرتجي مطـرًا بغـير سـحابِ
يـا رحمتـي لي في يـديك ورحمتـي ... لي منـك يـا شـينا مـن الأصـحابِ
يـا ليتنـي مـن قبـل ملكـك عـصمتي ... أمـسيت ملكًـا في يـد الأعـرابِ
هـل لي إليـك إسـاءة جازيتهـا ... إلا لبـاسي حلـة الآدابِ

امرأة

كان زوجها يحضر طعام الحجاج، فكتب إليها بذلك فكتبت إليه:

أتهـدي لي القرطـاس والخبـز حـاجتي ... وأنـت عـلى بـاب الأمـير بطـينُ
إذا غبـت لم تـذكر صـديقًا ولم تُقـم ... فأنـت عـلى مـا في يـديك ضـنينُ
فأنـت ككلـب الـسوء ضـيَّع أهلـه ... فيُهـزلُ أهـل البيـت وهـو سـمينُ

امرأة

زوجوها بابن عمها الشيخ... فقالت:

أيـا عجبـا للخـود يجـري وشـاجها ... تُـزفُّ إلى شـيخٍ مـن القـوم تنبـالِ
دعاهـا إليـه أنـه ذو قرابـةٍ ... فويـل الغـواني مـن بنـي العـم والخـالِ

امرأة

تحالفت مع زوجها ألا يتزوج عليها إذا ماتت ولا تتزوج عليه إذا مات فمات. فتزوجت بعده فلاموها فقالت:

وقـد كـان حبـي ذاك حبًـا مبرحًـا ... وحبـي لـذا إذ مـات ذاك شـديدُ

وكـــان هـــواي عنـــد ذاك صـــبابة ... وحبـــي لـــذا طـــول الحيـــاة يزيـــدُ
فلـــما مـــضى عـــادت لهـــذا مـــودتي ... كـــذاك الهـــوى بعـــد الـــذهاب يعـــودُ

امرأة

قالت تذم زوجها:

مـــن عـــذيري مـــن بعـــل ســـوءٍ يـــراني ... وأراه بـــــأعين البغـــــضاءِ
تتهـــادى منـــا الـــضمائر وحيًـــا ... بقـــلى يـــستكن في الاحـــشاءِ
غـــاض مكنـــون مـــا عليـــه احتوينـــا ... في قلـــوب إلى الفـــراق ظـــماءِ
نتنـــاثى حـــديث أثـــرٍ وعـــين ... بـــائن أنـــسه عـــن الأهـــواءِ
فكلانـــا عـــلى أسـى الـــبغض مبـــد ... كـــاذب الـــود مـــن لـــسان ريـــاءِ
رجـــل لـــو تخـــير اللـــؤمُ لؤمًـــا ... كـــان أو رائـــدًا وليَّ اللـــواءِ
ملـــئ عـــين مـــن الفـــواحش ... كـــاسي الوجـــه مـــن ســـوءةٍ سـليب حيـاءِ
يـــالقومي داءٌ عيـــاءٌ فـــأنّى ... لي اقتـــدار بحمـــل داءٍ عيـــاءِ
ليـــت لي حيـــةً بـــبعلي ... صـــماءَ وأحبـــب بالحيـــة الـــصماءِ
إن بـــدت كـــان دونهـــا لي حجـــابٌ ... مـــن حفيـــف الغـــراقِ أو مـــن رقـــاءِ
أيـــن أيـــن الحـــام أيـــن لقـــد أحـــرزوه ... منـــه اليـــوم واقـــي القـــضاءِ

أعرابية

مرت على قوم بنادي بني عامر وفيهم غلام ظريف، فجعل الغلام يرمقها فدنت منهم فمازحتهم. ثم أقبلت على الغلام فقالت:

شـــهدتُ وبيـــت الله أنـــك طيـــب الثنايـــا ... وأن الخـــصر منـــك لطيـــفُ

وأنـــك مـــشبوح الـــذراعين خلجـــمٌ ... وأنـــك أذ تخلـــو بهـــن عنيـــفُ
وأنـــك نعـــم الكمـــع في كـــل حالـــة ... وأنـــك في رمـــق النـــساء عفيـــفُ
نمتـــك إلى العليـــا عـــرانين عـــامرٍ ... وأعمامـــك الغـــر الكـــرام ثقيـــفُ
أنـــاسٌ إذا مـــا أنكـــر الكلـــب أهلـــه ... فعنـــدهم حـــصنٌ أشـــم منيـــفُ
لمـــن جـــاءهم يخـــشى الزمـــان وريبـــه ... رحيـــقٌ وزاد لا يـــصان وريـــفُ
فبيـــت بنـــي غـــيلان في رأس يـــافع ... وبيـــت ثقيـــف فـــوق ذاك منيـــف

فطلقها زوجها فقالت:

غـــدرت بنـــا بعـــد التـــصافي وخنتنـــا ... وشر مـــصافي خلـــة مـــن يخونهـــا
وبحـــت بـــسر كنـــت أنـــت أمينـــه ... ولا يحفـــظ الأسرار إلا أمينهـــا

أعرابية

وقفت على قبر ابن لها يقال له عامر فقالت:

أقمـــت أبكيـــه عـــلى قـــبره ... مـــن لي مـــن بعـــدك يـــا عـــامرُ
تركتنـــي في الـــدار ذا وحـــشة ... قـــد ذل مـــن لـــيس لـــه نـــاصرُ

وقالت:

مـــن شـــاء بعـــدك فليمـــت ... فعليـــك كنـــت أحـــاذر
كنـــت الـــسواد لنـــاظري ... فعمـــي عليـــك النـــاظر
ليـــتِ المنـــازل والـــديار ... حفـــائر ومقـــابر
أني وغـــيري لا نحالـــة ... حيـــث صرت لـــصائرُ

وقالت:

أبنيَّ غيبك المحل الملحد ... إما بعدت فأين من لا يبعدُ

أنت الذي في كل ممسى ليلةٍ ... تبلى وحزنك في الحشا يتجددُ

وقالت فيه:

لئن كنت هوًّا للعيون وقرة ... لقد صرت سقمًا للقلوب الصحائح

وهوَّن حزني أن يومك مدركي ... وإني غدًا من أهل تلك الضرائح

امرأة تيمية

وقف إليها رجل فأعجبته وراودها عن نفسها.

فقالت له: هيك ليس لك مانع من أدب أما لك زاجر من الحياء؟

فقال لها: لن يرانا إلا الكواكب فقالت: وأين مكوكبها؟؟

فقال لها: ألك بعل؟

قالت قد كان، ولكن دُعي إلى ما خلق له ثم قالت:

إني وإن عرضت أشاء تضحكني ... لموجع القلب مطويٌّ على الحزنِ

إذا دجا الليل أحيا لي تذكره ... وزادني الصبح أشجانًا على شجني

وكيف ترقد عين صار مؤنسها ... بين التراب وبين القبر والكفنِ

أبلى الثرى وتراب الأرض جدَّته ... كأن صورته الحسناء لم تكنِ

أبكي عليه حنينًا حين أذكره ... حنين والهة حنت إلى وطنِ

أبكي على من حنت ظهوي مصيبته ... وطير النوم عن عيني وأرقني

والله لا أنس حُبي الدهر ما سجعت حمامة أو بكى طير على فنن

فقال لها: هل لك في زوج؟؟ فاطرقت مليًا ثم قالت:

كنا كغصنين في اصل غذاؤهما ماءُ الجداول في روضات جناتِ
فاجتث خيرهما من جنب صاحبه دهرٌ يكر بفرحات وترحات
وكان عاهدني إن خانني زمني ألا يضاجع أنثى بعد مثواتي
وكنت عاهدته أيضًا فعاجله ريب المنون قريبا مذ سُنيّات
فاصرف عنانك عمن ليس يردعها عن الوفاء خلابٌ في التحيات

امرأة خارجية

نهاها زوجها أن تكون مع الخوارج ودعاها للرجوع إليه فأجابته:

أبلغ مجاشع إن رجعتَ فإنني بين الأسنة والسيوف مقيلي
أرجو السعادة لا أحدث ساعةً نفسي إذا ناجيتها بقفول
ووهبت خدري والفراش لكاعبٍ في الحي ذات دمالجٍ وحجول

ثم يظهر أنها اشتاقت إلى الزوج. فانصرفت عن معسكر الضحاك وقالت:

تركت رمحًا لينًا مسُّه وجئت رمحا مسُّه قاتلُ
سيّان هذا بدم سائلٌ وذاك منه عسل سائلُ
مطعون ذاكم منه في لذةٍ وأم مطعون بهذا ثاكلُ
مرّوا بنا نرجع إلى ديننا فكل دين غيره باطلُ
وملة الضحاك متروكة لا يحبينها أحد عاقلُ

امرأة من قيس

وما كيسٌ في الناس يُحمد رأيه ... فيوجد إلا وهو في الحب أحمقُ
وما من فتًى ما ذاق بؤس معيشةٍ ... فيعشق إلا ذاقها وهو يعشقُ

فتاة

بصرية جميلة، مال إليها بعضهم فاستسقوها، على غير ظمإٍ بل بقصد التمتع بالنظر إليها، فأخرجت لهم كوز ماءٍ وهي تقول:

ألا حيّ شخصيْ قاصدين أراهما ... أقاما فيما إن يعرفا مبتغاهما
يذمان تلباس البراقع ضلّةً ... كما ذمّ تجرا سلعةٍ مشتراهما
هما استسقيا ماءً على غير ظمأةٍ ... ليستمتعا باللحظ ممن سقاهما

جارية عواده

تغني:

كل يومٍ قطيعة وعتابُ ... ينقضي دهرنا ونحن غضابُ
ليت شعري أنا خُصصت بهذا ... دون ذا الخلق أم كذا الأحبابُ

أم العلاء بنت يوسف الحجارية
نسبة إلى وادي الحجارة بالأندلس- ومن شاعرات القرن الخامس

من شعرها:

كل ما يصدر منكم حسنُ ... ويعليكم تحلّى الزمنُ
تعطف العين على منظركم ... ويذكراكم تلذُّ الأذنُ

مـــن يعـــش دونكـــم في عمـــره فهـــو في نـــل الأمـــاني يُغـــبنُ

وخطبها رجل أشيب فكتبت إليه:

الـــشيب لا ينجـــع فيـــه الـــصبى بحيلـــةٍ فاســـمع إلى نُـــصحي

فـــلا تكـــن أجهـــل مـــن في الـــورى يبيـــت في الجهـــل كـــما يُـــضحي

أنس القلوب
جارية أندلسية

غنَّت عند المنصور بن أبي عامر:

قـــدم الليـــل عنـــد ســـير النهـــار وبـــدا البـــدر مثـــل نـــصف ســـوارِ

فكـــأن النهـــار صـــفحة خـــد وكـــأن الظـــلام خـــط عـــذارِ

وكـــأن الكئـــوس جامـــد مـــاءٍ وكـــأن المـــدام ذائـــب نـــارِ

نظـــري قـــد جنـــى عـــليَّ ذنوبًـــا كيـــف مـــا جنتـــه عينـــي اعتـــذاري

يـــالقومي تعجبـــوا مـــن غـــزالٍ جـــائر في محبتـــي وهـــو جـــاري

ليـــت لـــو كـــان لي إليـــه ســـبيلٌ فأفـــضي مـــن الهـــوى أوطـــاري

وبدر إليها المنصور فأغلظ في كلامه يسألها أن تصدقه لمن تشير بهذه المعاني فبكت وطلبت منه العفو وقالت:

أذنبـــت ذنبًـــا عظـــيمًا فكيـــف منـــه اعتـــذاري

والله قـــدر هـــذا ولم يكـــن باختيـــاري

والعفـــو أحـــسن شيءٍ يكـــون عنـــد اقتـــدارِ

بثينة بنت المعتمد بن عباد
وأمها الرميكية

سُبيت بعد سجن أبيها وبيعت من أحد تجار إشبيلية على أنها جارية... فوهبها التاجر لابنه. فلما رأت الجد من الأمر أعلنت أسمها ونسبها وقالت لولد التاجر: لا أحل لك إلا بعقد يجيزه أبي وكتبت إلى أبيها كتابًا تستشيره وهو هذه الأبيات:

اسمع كلامي واستمع لمقالتي ... فهي السلوك بدت من الأجيادِ
لا تنكروا أني سُبيت وأنني ... بنتُ الملكِ من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره ... وكذا الزمان يثول للإفسادِ
لما أراد الله فرقة شملنا ... وأذاقنا طعم الأسى من زادِ
قام النفاق علي أبي في ملكه ... فدنا الفراق ولم يكن بمرادي
فخرجتُ هاربةً فأعجلني امرؤٌ ... لم يأتِ في أعجاله بسدادِ
إذ باعني بيع العبيد فضمني ... من صانني إلا من الأنكادِ
وأرادني لنكاح نجلٍ طاهر ... حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا ... ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرفني به ... إن كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكيةُ الملوك بفضلها ... تدعو لنا باليمن والإسعاد

فأذن لها أبوها بالزواج منه.

حسانة التميمية
وقيل النميرية- ابنة أبي الحسين الشاعر الأندلسي

كتبت إلى الحكم بن الناصر بعد موت أبيها:

إني إليك أبا العاصي موجعة ... أبا الحسين سقته الواكفَ الديمُ
قد كنت أرتعُ في نعماه عاكفةً ... فاليوم آوي إلى نعماك يا حكمُ
أنت الإمامُ الذي انقاد الأنام له ... وملكتهُ مقاليد النهى الأممُ
لا شيء أخشى إذا ما كنت لي كنفًا ... آوي إليه ولا يعروني العدمُ
لا زلت بالعزة القعساء مرتديًا ... حتى تذلَّ إليك العربُ والعجمُ

فاستحسنه الحكم ووظف لها عطاء كريمًا

ولما مات الحكم ذهبت إلى ابنه الخليفة عبد الرحمن تشكو عامله جابرًا بأنه لم يرد إليها أملاكها كما كان كتب له والده الحكم. وأنشدته:

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي ... على شحط تصلى بنار الهواجر
ليجبر صدعي أنه خير جابر ... ويمنعني من ذي المظالم جابرِ
فإني وأيتامي بقبضة كفه ... كذي الريش أضحى في مخالب كاسرِ
جديرٌ لمثلي أن يقال مروعة ... لموت أبي العاصي الذي كان ناصري
سقاه الحيا لو كان حيًّا لما اعتدى ... عليَّ الزمان باطشٌ بطش قادرِ
أيمحو الذي خطتهُ يمناه جابر ... لقد سام بالأملاك إحدى الكبائرِ

فقضى لها حاجتها ورفع ظلامتها فشكرت له بقولها:

ابن الهاشمين خير الناس مأثرةً ... وخير منتجع يومًا لرواد

إن هـز يـوم الـوغى أثنـاء صـعدته ... روّى أنابيبهـا مـن صرف فرصـادِ
قـل للإمـام أبـا خـير الـورى نسبًا ... مقـابلًا بـين آبـاءٍ وأجـداد
جـودت طبعـي ولم تـرض الظلامـة لي ... فهـاك فـصلُ ثنـاءٍ رائـح غـاد
فـان أقمـت ففـي نعمـاك عاكفـة ... وإن رحلـت فقـد زودتنـي زادي

حمدة أو حمدونة
بنت زياد الأندلسية

خرجت إلى النهر ومعها صبية، فلما نضت عنها ثيابها وعامت. قالت:

أبـاح الـدمعُ أسراري بـوادي ... لـه في الحـسن آثـار بـوادِ
فمـن نهـرٍ يطـوفُ بكـل روضٍ ... ومـن روضٍ يـرف بكـل وادِ
ومـن بـين الظبـاءِ مهـاة أنـسٍ ... سبت لبـي وقـد ملكـتْ فـؤادي
لهـا لحـظٌ تُرقـده لأمـرٍ ... وذاك الأمـر يمنعنـي رقـادي
إذا سـدلت ذوائبهـا عليهـا ... رأيـت البـدر في أُفـق الـسواد
كـأن الـصبح مـات لـه شـقيق ... فمـن حـزن تـسربل بالـسواد

ومن أقوالها (وبعضهم يرويه للمازني):

وقانـا لفحـة الرمـضاء وادٍ ... سـقاهُ مـضاعف الغيـث العميمِ
حللنـا دوحـه فحنـا علينـا ... حنـو المرضـعات عـلى الفطـيمِ
ورأشـفنا عـلى ظـمأٍ زلالًا ... ألـذَّ مـن المدامـة للنـديمِ
يـصد الـشمس أنـى واجهتنـا ... فيحجبهـا ويـأذن للنـسيم
يـروع حـصاه حاليـة العـذارى ... فـتلمس جانـب العقـد النظـيمِ

ومن قولها:

ولما أبى الواشون إلا فراقنا ... وليس لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارة ... وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ... ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

حفصة بنت الحاج الركونية
من شاعرات القرن السادس ومن شريفات غرناطة

وافرة المال والجمال وحسن الحديث ترسل الشعر على سجيتها غير متجملة ولا محتشمة ومن شعرها ما كتبته إلى فتى اشتهرت به:

أزورك أم تزور فإن قلبي ... إلى ما تشتهي أبدًا يميلُ
فثغريٌّ مورد عذب زلالٌ ... وفرع ذؤاتي ظل ظليلُ
وقد أملت أن تظما وتضحى ... إذا وافى إليك بي المقيلُ
فعجل بالجواب فما جميلٌ ... إباؤك عن بثينة يا جميلُ

ومن شعرها:

وقد أرسلته إلى الأمير أبي سعيد في مجلسه، كأنها تستأذنه للدخول.

زائرٌ قد أتى بجيد الغزالِ ... مطلع تحت جنحه للهلال
بلحاظ من سحر بابل صيغتْ ... ورضاب يفوق بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خد ... وكذا الثغر فاضح اللآلي
ما ترى في دخوله بعد إذن ... أو تراه لعارضٍ في انفصال
اتراكم باذنه مسعفيه ... أم لكم شاغل من الاشغال

ومن شعرها:

سـلامٌ يُفـتحُ زهـر الكـمام ... وينطـق بالـشدو ورق الغـصون
عـلى نـازح قـد ثـوى في الحـشا ... وإن كـان تُحـرم منـه الجفـونْ
فـلا تحـسبوا العبـد ينـساكم ... فـذلك والله مـا لا يكـون

وينسب إليها:

أغـار عليـك مـن عينـي رقيبـي ... ومنـك ومـن زمانـك والمكـان
ولـو أني خبأتـك في عيـوني ... إلى يـوم القيامـة مـا كفـاني

سألتها امرأة من الشريفات تذكارًا تكتبه بخطها فكتبت إليها:

يـا ربـة الحـسن بـل يـا ربـة الكـرم ... غـضي جفونـك عـما خطـه قلمـي
تـصفحيه بلحـظ الـود منعمـةً ... لا تحفـلي بـرديء الخـط والكلـم

وقالت تذم عبيدها:

يـا رب إني مـن عبيـدي عـلى ... جمـر الغـضا مـا فـيهم مـن نجيـب
إمـا جهـولٌ أبلـه متعـب ... أو فطـنٌ مـن كيـده لا يجيـب

وقالت ارتجالًا بين يدي أمير المؤمنين عبد المؤمن:

يـا سـيد النـاس يـا مـن ... يؤمـل النـاس رفـده
امـنن عـليَّ بطـرسٍ ... يكـون للـدهر عُـدَّة
تخـطُّ يمنـاك فيـه ... «الحمـد لله وحـده»

وهي العلامة السلطانية عند الموحدين.

ومن شعرها:

ثنـائي عـلى تلـك الثنايـا لأننـي ... أقـول عـلى علـمٍ وأنطـقُ عـن خُـبْرِ

وأُنـــصفها لا أكـــذب الله أننـــي رشـــفت بهـــا ريقًـــا أرق مـــن الخمـــرِ

ولع بها أبو سعيد عبد المؤمن ملك غرناطة، مزاحمًا لأبي جعفر بن سعيد فطلب أبو جعفر الاجتماع بها فماطلته مدة شهرين فكتب إليها شعرًا فأجابته:

يـــا مـــدعي في هـــوى الحـــ ـــــن والغـــرام الإمامـــة
أتـــى قريـــضك لكـــن لم أرض منـــه نظامـــه
أمـــدعي الحـــب يثنـــي يـــأس الحبيـــب زمامـــه
ضـــللت كـــل ضـــلالٍ ولم تُفـــدكَ الزعامـــة
مازلـــت تـــصحب مـــذ كنـــت في الـــسباق الـــسلامة
حتـــى عثـــرت ومـــا خجلـــت بافتـــضاح الـــسآمة
بـــالله في كـــل وقـــت يبـــدي الـــسحاب انـــسجامة
والزهـــر في كـــل حـــين يـــشق عنـــه كمامـــة
لـــو كنـــت تعـــرف عـــذري كففـــت غـــرب الملامـــة

ومن شعرها:

ولـــو لم يكـــنِ نجـــمًا لمـــا كـــان نـــاظري وقـــد غبـــت عنـــه مظلـــمًا بعـــد نـــوره
ســـلامٌ عـــلى تلـــك المحاســـن مـــن شـــجٍ تنـــاءت بـــسنعماه وطيـــب سروره

وقالت:

ســـلو البـــارق الخفـــاق والليـــل ســـاكن أظـــل بأحبـــابي يـــذكرني وْهنـــا
لعمـــري لقـــد أهـــدى لقلبـــي خفقـــة وأمطـــرني منهـــل عارضـــه الجفنـــا

وكتبت إلى أبي جعفر:

رأســـت فـــما زال العـــداة بظلمهـــم ... وجهلهـــم النـــامي يقولـــون لم رأسْ
وهـــل منكـــر إن ســـاد أهـــل زمانـــه ... جـــوحٌ إلى العليـــا حـــرون عـــن الـــدنسْ

ومن قولها في السيد أبي سعيد ملك غرناطة (في يوم عيد)

يـــا ذا العـــلا وابـــن الخليـــ ... ـــفة والإمـــام المرتـــضى
يهنيـــك عيـــد قـــد جـــرى ... فيـــه بـــما تهـــوى القـــضا
وأتـــاك مـــن تهـــواه في ... قيـــد الإنابـــة والـــرضى
ليعيـــد مـــن لذاتـــه ... مـــا قـــد تـــصرم وانقـــضى

باتت مرة مع أبي جعفر في بستان فلما حان انفصالهما قالت:

لعمـــرك مـــا سر الريـــاض بوصـــلنا ... ولكنـــه أبـــدى لنـــا الغـــل والحـــسد
ولا حقـــق النهـــر ارتياحًـــا لقربنـــا ... ولا غـــرَّد القمـــري إلا لمـــا وجـــد
فـــلا تحـــسن الظـــن الـــذي أنـــت أهلـــه ... فـــما هـــو في كـــل الـــوطن بالرشـــد
فـــما خلـــت هـــذا الأفـــق أبـــدى نجومـــه ... يـــأمر ســـوى كـــيما تكـــون لنـــا رصـــد

وعلمت أنه علق بحب جارية سوداء، وأنه اعتكف معها أيامًا بظاهر غرناطة فقالت:

يـــا أظـــرف النـــاس قبـــل حـــال ... أوقعـــه نحـــوه القـــدر
عـــشقت حـــسناء مثـــل ليـــل ... يـــدائع الحـــسن قـــد ســـتر
لا يظهـــر البـــشر في دجاهـــا ... كـــلا ولا يُبـــصر الخفـــر
بـــالله قـــل لي وأنـــت أدرى ... يكـــل مـــن هـــام في الـــصور
مـــن الـــذي هـــام في جنـــانٍ ... لا تـــور فيهـــا ولا زهـــرْ

عائشة بنت أحمد القرطبية
توفيت سنة ٤٠٠ للهجرة

دخلت على المظفر بن المنصور وبين يديه ولد فقالت له:

أراك الله فيـــه مـــا تريـــدُ ... ولا برحـــت معاليـــه تزيـــدُ
فقـــد دلـــت مخايلـــه عـــلى مـــا ... تؤملـــه وطالعـــه الـــسعيدُ
تـــشوقت الجيـــاد لـــه وهـــز الـــ ... ـحـــسام لـــه وأشرقـــت البنـــودُ
وكيـــف يخيـــب شـــبل قـــد نمتـــه ... إلى العليـــا ضراغمـــة أســـود
فـــسوف تـــراه بـــدرًا في ســـماءٍ ... مـــن العليـــا كواكبـــه الجنـــودُ
فـــأنتم آل عـــامر خـــير آل ... زكـــا الأبنـــاء مـــنكم والجـــدودُ
وليـــدكم لـــدى رأي كـــشيخٍ ... وشـــيخكم لـــدى حـــربٍ وليـــدُ

خطبها بعض الشعراء ممن لا ترضاه فكتبت إليه:

أنـــا لبـــوة لكننـــي لا أرتـــضي ... نفـــسي مناخـــا طـــول دهـــري مـــن أحـــد
ولـــو أننـــي أختـــار ذلـــك لم أُجـــب ... طلبـــا وكـــم أغلقـــت ســـمعي عـــن أســـد

ولها مطلع بديع لم نعثر على تتمته. قالت:

لـــولا الـــدموع لمـــا خـــشيت عـــذولا ... فهـــي التـــي جعلـــت إليـــك ســـبيلا

قمر
جارية مغنية شاعرة من بغداد

بذل إبراهيم بن حجاج صاحب إشبيلية فيها **أموالًا** عظيمة اشتريت بها وأقدمها إلى الأندلس فازدرى بها نساء العرب. وأخذن **يتهامسن** إذا مرت ويتغامزن إذا غنت. فقالت:

قالوا أتت قمر في زي اطمارِ ... من بعد ما هتكت قلبًا بأشفارِ
تمشي على وجل، تغدو على سبل ... تشق أمصار أرض بعد أمصار
لا حرة هي من أحرار موضعها ... ولا لها غير ترسيل وأشعارِ
لو يعقلون لما عابوا غريبتهم ... لله من أمة تُزري بأحرارِ
ما لابن آدم فخر غير همته ... يعند الديانة والإخلاص للباري
دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه ... لا يخلص الجهل من سب ومن عار
لو لم تكن جنةٌ إلا لجاهلةٍ ... رضيت من حكم رب الناس بالنارِ

ومن قولها تتشوق إلى بغداد:

آها على بغدادها وعراقها ... وظبائها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه ... تبدو أهلتها على أطواقها
متبخترات في النعيم كأنما ... خلق الهوى العذري من أخلاقها
نفسي الفداء لها فأي محاسنٍ ... في الدهر تشرق من سنا إشراقها

وقال تمدح مولاها إبراهيم:

ما في المغارب من كريم نرتجي ... إلا حليفُ الجود إبراهيمُ
أني حللت لديه منزل نعمة ... كل المنازل ما عداه ذميمُ

مريم بنت يعقوب الأنصاري

أرسل صاحب إشبيلية إليها دنانير في قرطاس مع أبيات... يمدحها فيها فأجابته:

من ذا يجاريك في قول وفي عملِ ... وقد بدرت إلى فضلٍ ولم تُسل
مالي بشكر الذي نظمت في عنقي ... من اللآلي وما أوليت من قبلِ
خليتني بحلي أصبحت زاهية ... بها على كل أنثى من حلى عطل
لله أخلاقك الغر التي سقيت ... ماء الفرات فرقت رقة الغزل
أشبهت مروان من غارت بدائعه ... وانجدت وغدت من أحسن المثل

وقالت حين أسنَّت:

وما يرتجى من بنت سبعين حجة ... وسبع كنسج العنكبوت المهلهل
تدب دبيب الطفل تسعى على العصا ... وتمشي بها مشي الأسير المكبلِ

نزهون الغرناطية
بنت القلاعي المروانية، من أهل المائة الخامسة

من شواعر الأندلس الصادحات، ومن أعذبهن نفسًا وطبعًا، ولها في مجالس الوزراء منزلة عالية. كانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى، فدخل عليهما رجل فقال يخاطب المخزومي:

لو كنت تبصر من تجالسه... وأفحم فلم يستطع اتمامه
فقالت نزهون... لغدوت أخرس من خلاخله
البدر يطلع من أزرتَّه ... والغصن يمرح في غلائله

وقالت:

لله در الليالي ما أُحَيْسنها ... وما أُحيسن منها ليلة الأحد
لو كنت حاضرنا فيها وقد غفلت ... عين الرقيب فلم تنظر إلى أحدَ
أبصرت شمس ضحى في ساعدي قمرٍ ... بل ريم خازمةٍ في ساعدي أسدِ

ومن نوادرها أن ابن قزمان الشاعر جاء ليناظرها وكان في حلة صفراء فلما رأته قالت له: إنك اليوم كبقرة بني إسرائيل (صفراء فاقع لونها)، ولكن... لا (تسر الناظرين).

عاتبها الوزير أبو بكر بن سعيد (شعرًا) فأجابته:

حللت أبا بكر محلًا منعته ... سواك وهل غير الحبيب له صدري
وإن لم يكن كم من حبيب فإنما ... يقدم أهل الحق حب أبي بكر

وقال لها بعضهم (ما على من أكل معك خمسمائة سوط) فقالت:

وذي شقوة لما رآني رأى له ... تمنيه أن يصلى معي جاحم الضربِ
فقلت له كلها هنيئًا فإنما ... خلقتُ إلى لبس المطارف والشربِ

هجاها المخزومي الضرير مرة فقالت:

قل للوضيع مقالا ... يستلى إلى حين يحشر
من المدور أنشئت ... والخرا منه أعطر
حيث البداوة أمست ... في مشيها تتبختر
لذاك أمسيت صبا ... بكل شيءٍ مدور
خلقت أعمى ولكن ... تهيم في كل أعور
جازيتُ شعرًا بشعر ... فقل لعمري من أشعر

إن كنـــت في الخلـــق أُنثـــى فـــإن شـــعري مـــذكر

وقال لها المخزومي قولًا فأجابته:

إن كـــان مـــا قلـــت حقًّـــا مـــن بعـــض عهـــد كـــريم
فـــصار ذكـــري ذميـــما يعـــزى إلى كـــل لـــوم
وصرت أقـــبح شيءٍ في صـــورة المخزومـــي

خطبها رجل قبيح فقالت فيه:

عـــذبري مـــن عاشـــق أنـــوكٍ ســـفيه الإشـــارة والمنـــزع
يـــروم الوصـــال بـــما لـــو أتـــى يـــروم بـــه الـــصفع لم يـــصفع
بـــرأس فقـــير إلى كيـــةٍ ووجـــه فقـــير إلى برقـــع

ولّادة بنت المستكفي

أول من سن للنساء سنة الانكشاف والاستخفاف، ومن المجلين في حلبة الحب والأدب. وكان بيتها مثابة الوزراء والأدباء من الطبقة العالية، يتساجلون أمامها الأدب والشعر والنقد وهي عفيفة شريفة لم تنزع إلى ريبة ولا تدنت إلى مأثمة وقد عمرت طويلًا. قالت: (في رواية نفح الطيب).

ودَّع الـــصبر محـــبٌّ ودَّعـــكْ ذائـــعٌ مـــن سره مـــا اســـتودعك
يقـــرع الـــسن عـــلي إن لم يكـــن زاد في تلـــك الخُطـــى إذ شـــيعك
يـــا أخـــا البـــدر ســـناءً وســـنًى حفـــظ الله زمانًـــا أطلعـــك
إن بطـــل بعـــدك لـــيلي فلكـــم بـــت أشـــكو قـــصر الليـــل معـــكْ

وقالت للوزير ابن زيدون الشاعر المشهور:

ترقب إذا جنَّ الظلام زيارتي ... فإني رأيت الليل أكتم للسرّ
وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلُحْ ... وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

وكتبت إليه:

ألا هل لنا من بعد هذا التفرق ... سبيل فيشكو كل صب بما لقي
تمر الليالي لا أرى البين ينقضي ... ولا الصبر من رق التشوق معتقي
وقد كنت أوقات التزاور في الشتا ... أبيتُ على جمرٍ من الشوق محرقِ
فكيف وقد أمسيت في حال قطعه ... لقد عجل المقدور ما كنت ألقي
سقى الله أرضًا قد غدت لك منزلًا ... بكل سكوبٍ هاطل الويل مغدقِ

وكتبت إليه وهي غضبى:

ان ابن زيدون على فضله ... يلهج بي شتمًا ولا ذنب لي
يلحظني شزرًا إذا جئته ... كأنما جئت لأخصي (علي)

وهو غلام لابن زيدون...

ومن شعرها ما كتبته على تاجها عن يمين وشمال

أنا والله أصلح للمعالي ... وأمشي مشيتي وأتيه تيهًا
أُمكّنُ عاشقي من لثم ثغري ... وأعطي قبلتي من يشتهيها

ومما ينسب إليها:

لحاظكم تجرحنا في الحشا ... ولحظنا يجرحكم في الخدود
جرحٌ بجرحٍ فاجعلوا ذا بذا ... فما الذي أوجب جرحَ الصدود

مرَّت يومًا بدار (ابن عبدوس)، وكانت تهزأُ به كثيرًا، وهو جالس بالباب، وحوله أصحابه، وأمامه بركة تتولد من أقذار، فوقفت عليه، وقالت: يا أبا عامر

أنت الخصيب وهذه مصرُ ... فتدفَّقا فكلاكما بحر

والبيت لأبي نواس.

غنَّت جارية لولَّادة اسمها عتبة في حضرة ابن زيدون، فسألها الإعادة بغير أمر ولَّادة، فظهر عليها التجهُّم، وغارت غيرةً شديدة، وعاتبت عتبة، ثم قالت له:

لو كنت تنصف في الهوى ما بيننا ... لم تهوَ جاريتي ولم تتخيَّر

وتركتَ غصنًا مثمرًا بجماله ... وجنحتَ للغصن الذي لم يُثمر

ولقد علمتَ بأنني بدر السما ... لكن ولعت لشقوتي (بالمشتري)

وقالت في ابن زيدون بعد مقاطعة بينهما:

ولُقبتَ المدسَّ وهو نعتٌ ... تفارقُك الحياةُ ولا يفارق

فلوطيٌّ، ومأبون، وزانٍ ... وديوث، وقرنان، وسارق

وقالت تخاطب الأديبَ الأصبحيَّ:

يا أصبحيُّ اهنأ فكم نعمةٍ ... جاءتك من ذي العرش ربِّ المننْ

قد نلتَ باست ابنِك ما لم يَنَلْ ... بفرج بوران أبوها الحسنْ

وقالت:

إنَّ ابن زيدون على فضلِه ... يعشق قضبان الروايل

لو أبصر الأير على نخلةٍ ... صار من الطير الأبابيل

جارية لزلزل المغني

لما مات زلزل رثته بقولها:

أقفر من أوتاره العودُ ... فالعود للإقفار معمودُ

وأوحش المزمارُ من صوته ... فما له بعدك تغريدُ

مَنْ للمزامير ولذاتها ... وعارفُ اللذَّات مفقودُ

فالخمر تبكي في أباريقِها ... والقينة الخُمصانة الرودُ

حجناء بنت النُّصيب

دخلت مع أبيها على المهدي (بعيسى باز) فأنشدته:

رُبَّ عيشٍ ولذةٍ ونعيم ... وبهاء بمُشرق البلدان

بسط الله فيه أبهى بساطٍ ... من بهار وزاهر الحوذانِ

ثم من ناضرٍ من العُشُب الأخضر ... يُزهي شقائق النعمانِ

مدَّه الله بالتحاسين حتى ... قصرت دون طول حسنه العينانِ

حفلت حافتاه حيث تناهى ... بخيامٍ في العين كالظُلمانِ

زيَّنوا وسطها بطارمةٍ مثل ... الثريا يحفُّها النيرانِ

ثم حشو الخيام بيض كأمثال ... المها في صرائم الكثبانِ

بتجارين في غناءٍ شجيٍّ ... «أسعداني يا نخلتي حلوان»

فبقصر السلام من سلَّم ... الله وأبقى، خليفةُ الرحمن

ولديه الغزلان بل هن أبهى ... عنده من شوارد الغزلان

يا له منظرًا ويوم سرورٍ ... شهدت لذَّيه كل حصان

فأمر المهدي لها بعشرة آلاف درهم، ولأبيها بمثلها، ثم دخلت على العبَّاسة ابنة المهدي فأنشدتها:

أتيناك يا عبَّاسة الخير لي حمًى ... وقد عجفت أم المهاري وكلَّت
وما تركت منا السنون بقيةً ... سوى رمَّة منا من الجهد رمَّت
فقال لنا من ينصح الرأي نفسه ... وقد ولَّت الأموال عنا فقلَّت
عليكِ ابنة المهديِّ عوذي ببابها ... فإنَّ محلَّ الخير في حيث حلَّت

فأمرت لها بثلاثة آلاف درهم، وكسوة، وطيب، فقالت:

أغنيتني يا ابنة المهديِّ أيَّ غنىً ... بأعجرين كثير فيهما الورقُ
من ضرب تسع وتسعين محكَّكة ... مثل المصابيح في الظلماء تأتلقُ
أما الحسود فقد أمسى تغيظُه ... غمًّا وكاد برجع الريقِ يختنقُ
وذو الصداقة مسرور لنا فَرِحٌ ... بادي البشارة زاهٍ وجهه شَرِقُ

دنانير
جارية محمد بن كناسة، وكانت عفيفةً شريفةً

قال بعض جلسائها هذين البيتين في وصف منظر جميل:

الآن حين تزيَّن القُطرُ ... أنجاده ووِهادُه العُفْرُ

فقالت:

بريَّةٌ في البحر نابتةٌ ... يُجبى إليها البرُّ والبحرُ
وسرى الفرات على مياسرها ... وجرى على أيمانها النهرُ
وبدا الخورنق في مطالعها ... فردًا يلوح كأنه الفجرُ

كانت منازل للملوك ولم يُعمل بها لمملكٍ قبرُ

وكان أبو الشعثاء يدخل إلى ابن كناسة يسمع غناءها، ويعرض لها بأنه يهواها، فقالت له:

لأبي الشعثاء حبٌّ كامنٌ ليس فيه نهضة للمُتَّهِمْ
يا فؤادي فازدجر عنه ويا عبث الحبِّ به فاقعد وقمْ
زارني منه كلامٌ صائبٌ ووسيلات المحبين الكَلِمْ
صائد تأمنه غزلانه مثل ما تأمن غزلان الحرمْ
صلِّ إن أحببت أن تعطى المنى يا أبا الشعثاءِ لله وصُمْ
ثم ميعادك يوم الحشر في جنة الخلد إن الله رحمْ
حيث ألقاك غلامًا يافعًا ناشئًا قد كملت فيه النعمْ

رأت رجلًا حزينًا، فعرفت أنه جاء من دفن أخيه، فقالت:

بكيتَ على أخٍ لك من قريشٍ فأبكانا بكاؤك يا عليُّ
فمات وما خبرناه ولكن طهارة صحبه الخبر الجليُّ

دخل يحيى بن خالد بستان داره، فلما رأى بهجة ورده قال: يا دنانير أجيزي:

الورد أحسن منظر فتمتعوا باللحظ منه

فقالت:

فإذا انقضت أيامه ورد الخدود ينوب عنه

سلمى بنت القراطيسي
من أهل بغداد، وكانت مشهورة بالجمال

قالت:

عيون مهما الصريم فداء عيني ... وأجياد الظباءِ فداءُ جيدي
أُزيَّن بالعقود وإن نحري ... لأزينُ للعقود من العقود
ولا أشكو من الأوصاب ثقلًا ... وتشكو قامتي ثقل النهود

علية بنت المهدي
أخت الرشيد، ولدت سنة ١٦٠ وتوفيت سنة ٢١٦

قالت

ليس خطب الهوى بخطبٍ يسيرِ ... ليس ينبيك عنه مثل خبيرِ
ليس أمر الهوى يُدبَّر بالرأي ... ولا بالقياس والتفكيرِ

ومن شعرها:

إني كثرت عليه في زيارته ... فمنلَّ والشيءُ مملول إذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى ... في طرفه قصرًا عني إذا نظرا

من شعرها:

كتمتُ اسم الحبيب عن العباد ... ورددت الصبابة في فؤادي
فوا شوقي إلى أيام خلِّي ... لعلي باسم من أهوى أُنادي

ومن شعرها:

خلـــوت بـــالراحِ أُناجيهـــا ... آخـــذ منهـــا وأُعاطيهـــا
نادمتهـــا إذ لم أجـــد صـــاحبًا ... أرضـــاه أن يـــشركني فيهـــا

ومن شعرها:

لم ينـــسينَّك سرورٌ لا ولا حـــزنٌ ... وكيـف لا كيـف ينُسى وجهُـك الحسنُ
ولا خـلا منـك لا قلبـي ولا جـسدي ... كـلِّي بكلِّـك مـشغول ومـرتهنُ
وحيـدة الحـسن مـا لي عنـك مـذ كلفـت ... نفـسي بحبـك إلا الهـم والحـزن
نـور تولَّـد مـن شـمسٍ ومـن قمـرٍ ... حتـى تكامـل فيـه الـروح والبـدنُ

ولها:

أليـست سـليمى تحـت سـقفٍ يكنُّهـا ... وإيـاي هـذا في الهـوى لي نـافعُ
ويُلبـسها الليـل البهـيم إذا دجـا ... وتبـصر ضـوء الـصبح والفجـر ساطعُ
تـدوس بـساطًا قـد أراه وأنثنـي ... أطـأه بـرجلي كـلُّ ذا لي نـافعُ

طلب الرشيد أن تأتيه علية بالرقة، فذهبت، وقالت في طريقها:

اشرب وغـنَّ عـلى صـوت النـواعير ... مـا كنـت أعرفهـا لـولا ابـن منـصور
لـولا الرجـاء لمـن أَملـت رؤيتـه ... مـا جـزت بغـداد في خـوف وتغريـر

ولما ذهب إلى الريِّ أخذها معه، فعملت له صوتًا، وغنته أياه وهو:

ومغـترب بـالمرج يبكـي لـشجوه ... وقـد غـاب عنـه المسعدون عـلى الحـبِ
إذا مـا أتـاه الركـب مـن نحـو أرضـهم ... تنـشق يستـشفي برائحـة الركـب

كان لها وكيل يقال له: سباع، فعزلته، وحبسته؛ لما اعتقدته فيه من خيانة، فجاء جيرانها يشهدون له بالصدق، وحسن المذهب، وكتبوا رقعة في ذلك، فكتبت فيها:

ألا أيهذا الراكب العيس بلغن ... سباعًا وقل إن ضمَّ داركم السفرُ
أتسلبني مالي وإن جاء سائل ... رققت له أن حطَّه نحوك الفقرُ
كشافية المرضى بعائدة الزنى ... تؤمِّل أجرًا حيث ليس لها أجرُ

وغنَّت الأمين بشعر هو آخر ما قالته، وهو:

أطلتِ عاذلتي لومي وتفنيدي ... وأنتِ جاهلة شوقي وتسهيدي
لا تشرب الراح بين المسمعات وزر ... ظبيًا غريرًا نقي الخدِّ والجيدِ
قد رنحته شمول فهو منجدلٌ ... يحكي بوجنته ماء العناقيدِ
قام الأمين فأغنى الناس كلَّهم ... فما فقير على حالٍ بموجودِ

وقالت:

وحدثني عن مجلسٍ كنت زينه ... رسول أمين والنساءُ شهود
فقلت له كر الحديث الذي مضى ... وذكرك من بين الحديث أريد

وشت جارية اسمها طغيان بعلية إلى رشا، فقالت:

لطغيان خفٌّ مذ ثلاثين حجة ... جديد فلا يبلى ولا يتخرقُ
وكيف بلا خفٍّ هو الدهر كله ... على قدميها في الهواء معلقُ
فما أخرقت خفًّا ولم تُبل جوربًا ... وأما سراويلاتها فتمزقُ

وقالت في أخيها الرشيد وقد زارها مرة:

تفديك أختك قد حبوت بنعمة ... لسنا نعدلها الزمان عدبلا
إلا الخلود وذاك قربك سيدي ... لا زال قربك والبقاء طويلا
وحمدت ربي في إجابة دعوتي ... فرأيت حمدي عند ذاك قليلا

وقالت مرة تعاتبه على عدم دعوتها مع أختها:

ما لي نُسيت وقد نودي بأصحابي ... وكنت والذكر عندي رائح غادِ
أنا التي لا أطيق الدهر فرقتكم ... فرقَّ لي يا أخي من طول إبعادِ

وعتب عليها أنها بعد حجها أقامت أيامًا في طيرنا باذ. فقالت:

أي ذنبٍ أتيته أي ذنبِ ... أي ذنبٍ لولا رجائي بربي
بمقامي بطيرنا باذ يومًا ... بعده ليلة على غير شرب
ثم باكرتها عقارًا شمولا ... تفتن الناسك الحليم وتصبي
قهوة قرقفًا تراها جهولا ... ذات حلم فراجة كلَّ كرب

ولحنتها له، وأسمعته إياها؛ فرضي عنها.

من قولها في (طل):

أيا سروة البستان طال تشوقي ... فهل لي إلى (ظلٍ) لديك سبيلُ
متى يلتقي مَن ليس يُقضى خروجه ... وليس لمن يهوى إليه دخولُ
عسى الله أن نرتاح من كربةٍ لنا ... فيلقى اغتباطًا خُلَّةٌ وخليلُ

وقالت:

تحبَّب فإن الحب داعية الحب ... وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصَّر فإن حُدِّثت أن أخا هوًى ... نجا سالمًا فارج النجاة من الحب
وأطيب أيام الفتى يومه الذي ... يُروَّع بالهجران فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحبِّ سخط ولا رضى ... فأين حلاوات الرسائل والكتب

وقالت:

يـا مـوري الزنـد قـد أعيـت قوادحـه ... اقـبس إذا شئـت مـن قلبـي بمقيـاس
مـا أقـبح النـاس في عينـي وأسـمجهم ... إذا نظـرت فلـم أبـصرك في النـاس

وقالت:

أضـحى الفـؤاد بزينبـا ... صـبًّا كئيبًـا مُتعبـا
أصـبحت مـن كلفـي بهـا ... أدعـى سـقيمًا مُنـصبا
ولقـد كنيـت عـن اسـمها ... عمـدًا لكـي لا تغـضبا
فجعلـت زينـب سـترةً ... وكتمـت أمـرًا معجبـا
قالـت لقـد عـزَّ الوصـال ... ولم أجـد لي مـذهبا
والله لا نلـت المـودة ... أو تنـال الكوكبـا

وهي تقصد بذلك غلامًا اسمه رشا، نمى خبره إلى أخيها الرشيد فأبعده، وقيل: قتله.

وعلقت بعده بغلام اسمه طل فقال لها الرشيد: «والله لئن ذكرته؛ لأقتلنك» فدخل عليها يومًا على حين غفلة، وهي تقرأ القرآن فسمعها تقرأ: {فإن لم يصبها وابل} فما نهى عنه أمير المؤمنين... ذلك لأن الكلمة بعد {وابل} فطلٌّ... فضحك، وقال: ولا كل هذا..

وقالت:

يـا عـاذلي قـد كنـتُ قبلـك عـاذلًا ... حتـى ابتليـتُ فـصرتُ صـبًّا ذاهـلا
الحـب أول مـا يكـون مجانـةً ... فـإذا تحكَّـم صـار شـغلًا شـاغلا
أرضى فيغـضب قـاتلي فتعجبـوا ... يـرضى القتيـل ولا يُـرضِّى القـاتلا

وقالت:

وُضع الحب على الجوْرِ فلو ... أنصف المعشوق فيه لسَمُجْ
ليس يُستحسن في نعت الهوى ... عاشق يُحسن تأليف الحُجَجْ
وقليل الحب صرفًا خالصًا ... لك خير من كثير قد مُزجْ
لا تعيبنَّ مِن مُحبٍّ ذلةً ... ذلةُ العاشق مفتاح الفرجْ

ومن شعرها:

ما لي أرى الأبصار بي جافية ... لم تلتفت مني إلى ناحية
لا ينظر الناس إلى المُبتلى ... وإنما الناس مع العافية
صحبي سلوا ربكم العافية ... فقد دهتني بعدكم داهية
صار مني من بعدكم سيدي ... فالعين من هجرانه باكية
وقد جفاني سيدي ظالمًا ... فأدمعي منهلة واهية

ومن قولها في طل:

قد كان من كلفته زمنًا ... يا طلُّ مِن وجد بكم يكفي
حتى أتيتك زائرًا عجلًا ... أمشي على حتف إلى حتفي

وقالت وهي تقصده:

القلب مشتاق إلى (ريبِ) ... يا ربما هذا من العيب
قد تيمت قلبي فلم أستطع ... إلا البكا يا عالم الغيب
خبأتُ في شعري اسم الذي ... أردته كالخبء في الجيب

خديجة بنت المأمون

كانت تُقلد عمَّتها عُلية بنت المهدي في التشبيب، والتلحين

ومن قولها في خادم من خدم أبيها:

بـــالله قـــولُنَّ لمـــن ذا الرشـــا ... المثقـــلُ الـــردف الهـــضيمُ الحـــشا

أظـــرف مـــا كـــان إذا مـــا صـــحا ... وأملـــح النـــاس إذا مـــا انتـــشى

وقـــد بنـــى بُـــرج حمـــامٍ لـــه ... أرســـل فيـــه طـــائرًا مُرعَـــشا

يـــا ليتنـــي كنـــت حمامًـــا لـــه ... أو باشـــقًا يفعـــل بي مـــا يـــشا

لـــو لـــبس القـــوهيَّ مـــن رقـــةٍ ... أوجعـــه القـــوهيُّ أو خدشـــا

عريب جارية المتوكل
وقيل: إنها ابنة جعفر البرمكي من إحدى جواريه

أشـــكو إلى الله مـــا ألقـــى مـــن الكمـــدِ ... حـــسبي بـــربي ولا أشـــكو إلى أحـــد

أيـــن الزمـــان الـــذي قـــد كنـــت ناعمـــةً ... في ظلِّـــه بـــدنوي منـــك يـــا ســـندي

وأســـأل الله يومًـــا منـــك يفرحنـــي ... فقـــد كحلـــت جفـــونَ العـــين بالـــسُّهدِ

وكتبت إلى محمد بن حامد تستزيره فأجابها: «أخاف على نفسي»، فكتبت إليه:

إذا كنـــت تحـــذر مـــا تحـــذر ... وتـــزعم أنـــك لا تجـــسر

فـــما لي أُقـــيم عـــلى صـــبوتي ... ويـــوم لقائـــك لا يُقـــدر

ثم كتبت إليه:

تبينـــت عـــذري ومـــا تعـــذر ... وأبليـــت جـــسمي ومـــا تـــشعر

ألفت السرور وخليتني ودمعي من العين ما يفتر

ومن شعرها في ابن حامد:

ويلي عليك ومنكا أوقعت في الحقِّ شكا
زعمت أني خئونٌ جوزًا عليَّ وإفكا
فأبدل الله مابي من ذلة الحبِّ نسكا

سمعت بنانًا يغني أبياتًا أولها:

جفون حشوها الأرقُ

فكتبت:

أجاب الوابل الغَدِقُ وصاح النرجس الغَرِقُ
وقد غنَّى بنانُ لنا «جفون حشوها الأرقُ»
فهاك الكأس مترعةً كأن حبابها حدقُ

وأحبَّت محمد بن حامد الخاقاني، فقالت فيه:

بأبي كل أزرق أصهب اللون أشقر
جُنَّ قلبي به وليس جنوني بمُنكَر

لبانة بنت ريطة بن علي

كانت من أجمل النساء، تزوَّجها محمد الأمين، ولم يبن بها، وقُتل، فقالت ترثيه:

أبكيك لا للنعيم والأنس بل للمعالي والرمح والفرسِ
أبكي على سيد نُجعتُ به أرملني قبل ليلة العرسِ

يـــا فارسًـــا بـــالعراءِ مطرحًـــا ... خانتـــه قـــوادُه مـــع الحـــرسِ
مَـــن للحـــروب التـــي تكـــون بهـــا ... إن أُضرمـــت نارهـــا بـــلا قـــبسِ
مَـــن لليتـــامى إذا هـــم سنـــغبوا ... وكـــل عـــانٍ وكـــل محتـــبسِ
أم مَـــن لـــبرٍّ أم مَـــن لفائـــدةٍ ... أم مَـــن لـــذكر الإلـــه في الغلـــسِ

محبوبة جارية المتوكل

كان للمتوكل جارية اسمها (قبيحة)، كتبت بالمسك على خدِّها (جعفر)، قال المتوكل: فما رأيت شيئًا أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدِّ، وطلب المتوكل من علي بن الجهم أن يقول في ذلك شعرًا، فبادرت محبوبة من فورها تقول:

وكاتبـــة بالمـــسك في الخـــدِّ جعفـــرًا ... بنفـــسي مخـــط المـــسك مـــن حيـــث أَثَّـــرا
لـــئن كتبـــت في الخـــدِّ ســـطرًا بكفِّهـــا ... لقـــد أودعـــت قلبـــي مـــن الحـــبِّ أســـطرا
فيـــا مَـــن لمملـــوكٍ لِمُلْـــكِ يمينـــه ... مطيـــعٍ لـــه فـــيما أسرَّ وأظهـــرا
ويـــا مَـــن هواهـــا في الـــسريرة جعفـــر ... ســـقى الله مـــن ســـقيا ثنايـــاك جعفـــرا

دفع المتوكل تفاحة مغلفة إلى محبوبة، فقبَّلتها، وانصرفت إلى مكانها، ثم أرسلت إليه مع جارية لها رقعةً كتبت فيها:

يـــا طيـــب تفاحـــةٍ خلـــوتُ بهـــا ... تُـــشعل نـــار الهـــوى عـــلى كبـــدي
أبكـــي إليهـــا وأشـــتكي دنفـــي ... ومـــا ألاقـــي مـــن شـــدة الكمـــدِ
لـــو أنَّ تفاحـــة بكـــتْ لبكـــت ... مـــن رحمتـــي هـــذه التـــي بيـــدي
إن كنـــت لا تـــرحمين مـــا لقيـــتْ ... نفـــسي مـــن الجهـــد فـــارحمي جـــسدي

وهجرها المتوكل مرةً، ثم أنصت إلى حجرتها، فسمعها تغني بقولها:

أدورُ في القصر لا أرى أحدًا ... أشكو إليه ولا يكلمني
حتى كأني ركبت معصية ... ليست لها توبة تخلصني
فهل لنا شافع إلى ملكٍ ... قد زارني في الكرى وصافحني
حتى إذا ما الصباح لاح لنا ... عاد إلى هجره فصارمني

فطرب المتوكل، وأحسَّت هي بمكانه، فخرجت إليه، وذكرت له أنها رأته في المنام، وقد صالحها، فانتبهت، وقالت هذه الأبيات، وغنت بها. وكان صلح وسلام.

ولما قُتل المتوكل صارت إلى قصر المعتصم، وجلس مرةً للشراب، فغنى الجواري جميعًا، وقال لها وصيف: غني يا محبوبة. فأخذت العود، وغنَّت:

أيُّ عيشٍ يطيب لي ... لا أرى فيه جعفرا
ملكًا قد رأته عيني ... قتيلًا معفَّرا
كل مَن كان ذا هُيامٍ ... وحزنٍ فقد برا
غير محبوبة التي ... لو ترى الموت يُشترى
لاشترته بملكها ... كل هذا لِتُقْبرا
إن موت الكثيب ... أصلحُ مِن أن يُعمَّرا

عنان جارية الناطفي

مِن أحسن الشعراء بديهةً، وأعذبهم حديثًا، في رقةٍ، وجمالٍ قلَّ إن كان فيهما غيرها من النساء، نشأت باليمامة، ثم اشتراها الناطفيُّ (في بغداد) فكان بيته من أجلها منتدى العظماء والشعراء.

دخل مروان بن أبي حفصة الشاعر عليها مع الناطفي، وحدث ما دعا الناطفيَّ أن يضربها سوطًا فبكت، فقال مروان:

بكـــت عنـــان فجـــرى دمعهـــا كالـــدرِّ إذ ينـــسلُّ مـــن خيطـــه

فقالت مسرعةً:

فليـــت مَـــن يـــضربها ظالمًـــا تجـــفُّ يمنـــاه عـــلى ســـوطه

وطلب الرشيد من الشعراء أن يجيزوا قول جرير:

إن الـــذين غـــدوا بلبِّـــك غـــادروا وشـــلًا بعينـــك مـــا يـــزال معينـــا

فلم يصنعوا شيئًا، وذهب أحد خدم القصر إلى عنان، فأخبرها، فقالت له: اكتب

هيَّجـــت بـــالقول الـــذي قـــد قلتـــه داءً بقلبـــي مـــا يـــزال كمينـــا

قـــد أينعـــت ثمراتـــه في روضـــها وسُـــقين مـــن مـــاء الهـــوى فَرَوينـــا

كـــذب الـــذين تقوَّلـــوا يـــا ســـيدي أن القلـــوب إذا هـــوَين هوِينـــا

وأنشد أبو نواس أمامها قول جرير:

ظللـــتُ أُواري صـــاحبيَّ صـــبابتي وقـــد علقتنـــي في هـــواكِ علـــوقُ

فقالت:

إذا عقـــل الخـــوف اللـــسان تكلمـــت بـــأسراره عـــين عليـــه نطـــوقُ

كان يهواها أبو النضير، فكتب إليها شعرًا يطلب منها أن تلقاه، فأجابته:

أنـــا مـــشغولة بمَـــن لـــست أهـــواه وقلبـــي مـــن دونـــه في حجـــاب

وإذا مـــا أردت أمـــرًا فـــأسرره ولا تجعلنـــه في كتـــاب

ولها مع أبي نواس فصول طوال، فقد كان يتعرض لها بما يظن أنه يحرجها، فترد عليه بما يخجله، ويقطعه.

وقالت في مساجلة شعرية بين أبي نواس، والوراق، والخياط، والخليع، كان فيها كلٌّ منهم يدعو الجماعة إلى داره:

مهـــلًا فـــديتك مهـــلًا ... عنـــان أحـــرى وأولى
بـــأن تنـــالوا لـــديها ... أشـــهى الطعـــام وأحـــلى
وإن عنـــدي حرامًـــا ... مـــن الطعـــام وحـــلا
لا تطمعـــوا في ســـوى ذا ... مـــن البريـــة كـــلا
ثـــم اصـــدقوا بحيـــاتي ... أجـــاز حكمـــي أم لا

طارحها شاعر اسمه أبو حبش بيتين فقالت متممةً له:

بكيـــت عليهـــا إن قلبـــي يحبهـــا ... وإن فـــؤادي كالجنـــاحين ذو رعـــش
تعنيتنـــا بالـــشعر لمـــا أتيتنـــا ... فـــدونك خـــذه محكـــمًا يـــا أبـــا حَبَش

طارحها العباس بن الأحنف يومًا شعرًا فأجابته:

مَـــن تـــراه كـــان أغنـــى ... منـــك عـــن هـــذا الـــصدود
بعـــد وصـــلٍ لـــك منـــي ... فيـــه إرغـــام الحـــسود
فاتخـــذ للهجـــر إن شـــئت ... فـــؤادًا مـــن حديـــد
مـــا رأينـــاك عـــلى مـــا ... كنـــت تجنـــي بجليـــد

وقال لها الناطفيُّ: أجيزي

كـــل يـــوم عـــن أقحـــوان جديـــد ... تـــضحك الأرض مـــن بكـــاء الـــسماءِ

فقالت:

فهو كالوشي من ثياب عروس جلبته التجار من صنعاءِ

فضل الشاعرة

نشأت في دار شاعر بالبصرة وتأدبَّت، ثم أُهديت إلى المتوكِّل، وكانت في الغاية السامية من الأدب، وجمال الوجه، وظرف الحديث.

كانت تهوى سعيد بن حميد أحد كُتَّاب الدولة العباسية، فعزم مرةً على سفرٍ، فقالت له:

كذبتني الودَّ إن صافحت مرتحلًا كفُّ الفراق بكفِّ الصبر والجلد

لا تذكرنَّ الهوى والشوق لو فُجعتْ بالشوق نفسك لم تصبر على البُعدِ

ألقى علي بن الجهم بحضرة المتوكل هذا البيت عليها؛ لتجيزه

لاذ بها يشتكي إليها فلم يجد عندها ملاذا

فأجابته:

ولم يزل ضارعًا إليها تهطل أجفانه رُذاذا

فعاتبوه فزاد عشقًا فمات وجدًا فكان ماذا

ومن قولها:

إن مَن يملك رقِّي مالكٌ رقَّ الرقابِ

لم يكن يا أحسن العالم هذا في حسابي

وقالت:

لأكتمنَّ الذي بالقلب من حُرقٍ ... حتى أموت ولم يعلم به الناسُ
ولا يقال شكا من كان يعشقُه ... أن الشكاة لمن تهوى هي الياسُ
ولا أبوح بشيءٍ كنت أكتمه ... عند الجلوس إذا ما دارت الكاسُ

وسألها المتوكل: أشاعرة أنتِ؟ فقالت: كذا يزعم من باعني واشتراني، فقال: أنشدينا، فقالت:

استقبل الملك إمامُ الهدى ... عام ثلاثٍ وثلاثينا
خلافة أفضت إلى جعفر ... وهو ابن سبع بعد عشرينا
إنَّا لنرجو يا إمام الهدى ... أن تملك الناس ثمانينا
لا قدَّس الله امرًا لم يقل ... عند دعائي لك آمينا

وألقى عليها بعض الشعراء قوله:

ومستفتحٍ باب البلاء بنظرةٍ ... تزوَّد منها قلبه حسرة الدهر

فأجابته مسرعة:

فو الله ما يدري أتدري بما جنت ... على قلبه أم أهلكته وما تدري

وخرج المتوكل متوكئًا على جاريتيه فضل وبنان، فقال لهما: أجيزا

تعلَّمت أسباب الرضا خوف سخطه ... وعلَّمه حبي له كيف يغضبُ

فقالت فضل:

يصد وأدنو بالمودة جاهدًا ... ويبعد عني بالوصال وأقربُ

عتب عليها سعيد بن حميد أن كانت تُحدِّق النظر إلى بنان المغني فقالت:

يا من أطلت تفرُّسي ... في وجهه وتنفسي

أفديك من متدللٍ ... يزهى بقتل الأنفسِ
هبني أسأت وما أسأت ... بلى أقرُّ أنا المسي
أحلفتني ألَّا أسارق ... نظرة في مجلسي
فنظرت نظرة مخطئٍ ... اتبعتها بتفرُّسِ
ونسيت أني قد حلفت ... فما عقوبة من نسي

أنشدها أبو دلف العجلي:

كم بين حبة لؤلؤٍ مثقوبة ... نظمت وحبة لؤلؤٍ لم تثقبِ

فأجابته:

إنَّ المطية لا يلذُّ ركوبها ... ما لم تذلل بالزمام وتركبِ
والدُّر ليس بنافعٍ أربابه ... حتى يؤلف للنظام بمثقبِ

وقالت بلسان المتوكل:

علم الجمال تركتني ... في الحبِّ أشهر من علم
وأبحتني يا سيدي ... سقمًا يجلُّ عن السقم
ونصبتني يا مُنيتي ... غرض المظنة والتُّهم
فلو أن نفسي فارقت ... جسمي لفقدك لم تُلَم
ما كان ضرك لو وصلت ... فخفَّ عن قلبي الألم
برسالة تهدينها ... أو زورة تحت الظُّلَم
أولا فيطفي في المنام ... فلا أقلَّ من اللَّمَم
صلة المحب حبيبه ... الله يعلمه كرم

وكتب إليها أحدهم شعرًا، فأجابته:

الصبر ينقصُ والسقام يزيدُ ... والدار دانية وأنت بعيدُ
أشكوك أم أشكو إليك فإنه ... لا يستطيع سواهما المجهودُ
إني أعوذ بحرمتي بك في الهوى ... مِن أن يُطاع لديك فيَّ حسودُ

وكتب بعضهم شعرًا يتشوق به إليها، فأجابته:

نعم وإلهي إنني بك صبَّة ... فهل أنت يا من لا عدمت مثيبُ
لمن أنت منه في الفؤاد مصور ... وفي العين نصب العين حين تغيبُ
فثِق بودادٍ أنت مظهر مثله ... على أن بي سقمًا وأنت طبيبُ

وكتبت إلى سعيد بن حميد:

وعيشِك لو صرحت باسمك في الهوى ... لأقصرت عن أشياء بالهزل والجدِّ
ولكنني أُبدي لهذا مودتي ... وذاك لا خلو فيك بالبثِّ والوجدِ
مخافة أن يُغري بنا قول كاشحٍ ... عدو فيسعى بالوصال إلى الصدِّ

وجاء لزيارتها بعضهم فما وجدها، ولما عادت بذلك كتبت إليهم:

وما كنت أخشى أن تروا لي زلةً ... ولكن أمر الله ما عنه مذهبُ
أعوذ بحسن الصفح منكم فقبلنا ... بصفح وعفو ما تعوَّذ مذنبُ

كان بينها وبين المتوكل موعد، فشرب حتى ثقل، ونام، وجاءت لموعده، فحرَّكته، فلم ينتبه. فلما رأت أن لا حيلة في إيقاظه كتبت له رقعة فيها:

قد بدا شيبُك يا مولاي ... في جنح الظلام
فانتبه نقض لبانات ... التزام والتئام
قبل أن تفضحنا ... عودة أرواح النيام

وقالت تهجو جارية اسمها خنساء:

إن خنساء لا جُعلت فِداها ... اشتراها الكسار من مولاها

ولها نكهة يقول محاذيها ... أهذا حديثها أم فساها

لقيها بعضهم صبيحة قتل المعتز، وهي تبكي، وتقول:

إن الزمان بذحلٍ كان يطلبنا ... ما كان أغفلنا عنه وأسهانا

مالي وللدهر قد أصبحت همته ... مالي وللدهر ما للدهر لا كانا

وقالت:

سلافة كالقمر الباهر ... في قدح كالكوكب الزاهر

يديرها خشف كبدر الدجى ... فوق قضيب أهيف ناضر

على فتىً أروع من هاشمٍ ... مثل الحسام المرهف الباتر

وغضب عليها بنان المغني يومًا، فاسترضته فلم يرض، فقالت:

يا فضل صبرًا إنها ميتة ... يجرعها الكاذب والصادقُ

ظن بنان أنني خنته ... روحي إذًا من بدني طالقُ

بلغها أن سعيد بن حميد عشق جارية من الفتيان، فكتبت إليه:

يا عالي السنِّ سيئ الأدب ... شبتَ وأنت الغلام في الطربِ

ويحك إن القيان كالشرك ... المنصوب بين الغرور والعطبِ

لا يتصدين للفقير ولا ... يطلبن إلَّا معادن الذهبِ

تلحظ هذا وذا وذاك وذا ... لحظ محبٍّ بطرفِ مكتسبِ

بينا تشكي هواك إذ عدلت ... عن زفرات الشكوى إلى الطلبِ

وقال سعيد بن حميد: أجيزي يا فضل

من لمحب أحب في صغره ... فصار أحدوثةً على كبره

فقالت:

من نظر شفه فأرقه ... وكان مبدا هواه من نظره

لولا الأماني لمات من كمدٍ ... كما الليالي تزيد في فكره

ليس له مسعد يساعده ... بالليل في طوله وفي قصره

تقية أم علي الصوري
ولدت سنة ٥٠٥ بدمشق وتُوفيت سنة ٥٧٩ بالإسكندرية، وهي من أديبات دهرها.

عثر الحافظ أحمد السلفي في منزله؛ فانجرح أخمصه، فشقت وليدة في الدار خرقة خمارها، وعصبته، فأنشدت تقية في الحال:

لو وجدت السبيل جُدتُ بخدِّي ... عوضًا عن خمار تلك الوليدة

كيف لي أن أُقبِّل اليوم رجلًا ... وَ الطريق الحميدة

نظمت قصيدة تمدح بها الملك المظفَّر عمر بن أخي السلطان صلاح الدين، وكانت القصيدة خمرية، وصفت فيها آلة المجلس، وما يتعلَّق بالخمر، فلما وقف عليها قال:

«الشيخة تعرف هذه الأحوال من زمن صباها» فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى حربية، وصفت فيها الحرب أحسن وصفٍ، ثم سُيِّرت إليه تقول:

علمي بهذا كعلمي بتلك.